

وَحَمْدُ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

محمد حسن عابد

ملزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بالجاميز ت ٣٩١٩٣٧٧
١٢ ميدان الأوسدا ت ٣٤٠٠٨٦٨
الطبعة الفونجسية
١ سكة الشاويوزى بالحلمية الجديدة

اهداءات ٢٠٠٢

١/ رشاد حامد الخيلاني

القاهرة

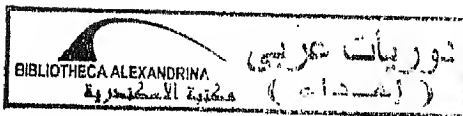
297.63

٨٨٥

رحمة الله للعالمين

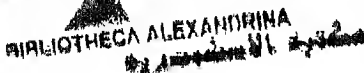
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

محمد حسن عبد الله



الناشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ١٩٦٨ ٣٩





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الى كل من استخلفه الله في قطرة من بحار ملكه فيبغى ،
وظلم ، وفجر ...

أهدى اليه سيرة من من الله عليه بنعيمى الدنيا
والآخرة .. فرحم ، وصبر ، وشكر ...

محمد حسن عبد الله

1. The first part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

2. The second part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

3. The third part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting, but who were not present at the previous meeting.

4. The fourth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting, but who were not present at the previous meeting.

5. The fifth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting, but who were not present at the previous meeting.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للعالم الجليل الدكتور عبد الرشيد ضقر
امام وخطيب مسجد صلاح الدين
وأستاذ الدعوة بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر الشريف

ان البشرية المؤرقة المضاجع السيالة المدامع ، المتوترة
الأعصاب ، الممزقة النفوس في أمس الحاجة الى مثل أعلى يهتدى
روعا ويلهم شعنها ويرشد خطاها ويقودها الى الغايات الكبرى
ويفظمها عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد ويوظف مواهبها
في البناء وطاقاتها في الاصلاح ويقودها الى المحاريب ويجندها
لرب الوجود ويسوقها الى حراسة القيم ومسح القذى عن
المبادئ .

ولن تجد البشرية في القارات كلها افسانا تجسدت فيه
المثل وتحركت به القيم وشمخ على يده البناء وشرفت به الكلمة
واستعلت فيه الايجابية مثل سيد التاريخ نبي الاسلام محمد
صلى الله عليه وسلم رائد الدعوة العالمية والخطرة الانسانية
والخطوة الربائية .

انى أشعر - بعد بحث - بافتقار الانسان فى هذا العصر المائج
الى منهجه الالهى وسلوكه الراشد وخلقه العظيم ومنازته الوضعية
ومعالمه اللافتة ومسلكه المستقيم حتى يحيا من موات ويتكاف
بعد شتات •

ان الحروب أهلكت الحرث والنسل ، والأمراض أنهكت
القوى ، والسليبات لفت العالم بشتائها السود ، والمضائك عشت
فى البيوت والاختلاسات خربت الأوطان والجبابرة أذلت الشعوب
والطواغيت نكست الرءوس ولا تستنقذ الانسانية من هذا
الوباء الداهم الا بتطلعها الى المثل العليا فى شخصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسيرها وراءه واقتفائها أثره وامثالها
أمره •

ولقد ألف الأخ الأستاذ محمد حسن عبد الله كتابا قيما
عن مسيرته صلى الله عليه وسلم بغية تنمية العقل وتغذية الوجدان
وترشيد السلوك وترطيب الجفاف وانعاش الذابل لعل فيه اليقظة
للأحاسيس الغافية والوقدة للنبضات الهامدة •

ان هذا الكتاب كوردة فاضرة بين أشواك علمانية لاذعة
وكواحة وارفة الظلال وسط صحارى ماسونية قاحلة ، وهذه
باكورة تنرى بعدها الأزاهير النضاجة ان شاء الله •
أعج الى الله أن يتقبله منه وينفع به ويجعله فى موازينه
ويبيض به وجهه ويرفع درجته • انه نعم المولى ونعم النصير •
الدكتور عبد الرشيد صقر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على
رسول الله المبعوث رحمة الله للعالمين .

ويعمد . . .

تمضى السنين والأيام ، وتتعاقب الأمم والأجيال ، وتختلف
على الناس حضارات وفلسفات ومذاهب ونظريات اجتماعية
واقتصادية وسياسية ، وتبقى الحقيقة الخالدة التي تعلن للدنيا
آفاء الليل وأطراف النهار أن خير دين أنزل على خير رسول أرسل
لخير أمة أخرجت للناس إنما هو دين الاسلام .

انه دين الرحمة . . . رحم الله به الكون كله : انسه وجنه ،
زرعه وضرعه ، دوابه وهوامه وطيره كما بينت ذلك آياته الكريمة
في قوله تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ولم يكن ليحمل هذه الرسالة إلا من أعده الله لها خلقا ،
وخلقا ، وحكمة ، ورفعة وسموا . . .

ولم يكن ليهدي الناس الى عبادة الرحمن الرحيم الا من
حمل بين جنبه قلبا ثريا بآيات الرحمة ، ومعاني الفضل والاحسان
والبر والتقوى ، والحب والايمان .

ولقد قال كل من فى الوجود حظه من رحمته صلى الله
عليه وسلم . . . وتمثل فيه قول الله تعالى :
﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ .

ولقد تناولت فى هذا الكتاب قطرة من غيث الرحمة
التي تغمدت العالمين برسالته السامية ، ودعوته المخلصة وجهاده
الصادق .

أما عن المقدمة التي تفضل بها العالم الجليل الدكتور
عبد الرشيد صقر امام وخطيب مسجد صلاح الدين - بالقاهرة -
وأستاذ الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف
والذى نذر حياته ، وعلمه للدعوة الى الله ، ولقظ فى سبيلها متاع
الدنيا الزائل . . .

فالله نسأل أن يجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا فى الدنيا
والآخرة . . . وأن يتغمده برحمته ويحسن ثوابه يوم لقائه
﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .
ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه
انه نعم المولى ونعم النصير .

محمد حسن عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك ربى ما أرحمك :

سبحانك ربى ﴿ وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ فأنعمت
على التائبين بجميل عفوك ، ومننت على المييين يواسع رحمتك ،
فانطلقت أرواحهم تهيم فى ساح الرضا ، تسبح بحمدك ، وتشنى
عليك بما أنت أهله ، وتمجد جاهك وسلطانك •

سبحانك ربى ما من شيء الا يسبح بحمدك ، ويرجو
رحمتك ، ويخشى عذابك • وكل من فى الوجود يدعوك لتتعم
عليه • بحسن الجزاء يوم لقاءك ، وليكون مع زمرة المتقين
كما بينت ربنا فى كتابك الكريم .وقلت وقولك الحق :

﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا • لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا ﴾ (١) •

ربنا بظهر الغيب ما أكرمك ؟!!!

لقد وسعتنا رحمتك ربنا قبل أن تمن علينا بالحياة •
فأشهدتنا على أنفسنا فشهدنا •

(١) مريم : ٨٥ - ٨٧

شهدنا بأنك وحدك الباريء ، المصور ، وما سواك وهم
باطل . وأقررنا بأنك وحدك الباقي ، وما عداك ظل زائل .
فانطلقت أرواحنا تحتاز آفاق الزمان لا نشارك بك أحدا ، ونقر
بك فردا صمدا كما قلت ربنا في كتابك الكريم وقولك الحق :

﴿ واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم
على أنفسهم أليس بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة
إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل
وكننا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل
الآيات ، ولعلمهم يرجعون ﴾ (٢) .

وفي الظلمات ربنا ما الطفك ؟

لقد أنشأنا ربنا من الأرض ... ولطفت بنا ونحن أجنة
في بطون أمهاتنا .. فأطعمتنا ... وسقيتنا .. ولا أحد
غيرك في الظلمات يرعانا ... فأنت وحدك أعلم بنا من
أنفسنا ... فما أطفك ... وما أبدع خلقك . وأجل
شأنك ... قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٣) .

(٢) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٤

(٣) المؤمنون : ١٢ - ١٤

في السماء وفي الأرض آيات رحمتك :

ان آيات رحمتك ربنا تتجلى في أرضك وفي سماءك ...
فالأرض ذلتها .. وسخرتها لنا ... نمشى في مناكبها ...
ونأكل من رزقها .. والسماء زينتها بالنجوم .. والكواكب ..
وأنزلت لنا منها ماء طهورا ... فأحييت به الأرض بعد موتها
... فأسقيتنا والمخلوقات منه شرابا طهورا ... ولولا رحمتك
.. لا استحالت الحياة في أرض جدداء لا نبات فيها ولا ماء ...
ولولا رحمتك لكاف قاعا صفصفا لا تثبت كلاً ولا عشباً ...

قال تعالى : ﴿ أفراأيتم ما تحرثون • ءأنتم تزرعونه أم نحن
الزارعون • لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون • انا لمغرمون
بل نحن محرومون • أفراأيتم الماء الذى تشربون • ءأنتم أنزلتموه
من المزن أم نحن المنزلون • لو نشاء لجعلناه حطاماً فلو
تذكرون ﴾ (٤) .

الليل والنهار من آيات رحمتك :

... ومن رحمتك ربنا الليل والنهار ... ولولا رحمتك
لما نعمنا بنهار تشرق بضياؤه قلوبنا ... وتنشرح بمقدمه
صدورنا ... فنجد فيه ونسعى ... ونجنى ثمار سعينا ...
ولما هدأت أجسامنا وعقولنا في ليل تسكن فيه مخلوقاتك

.... قال تعالى :

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة من الـه غير الله يأتـيكم بضياء أفلا تسمعون • قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من الـه غير الله يأتـيكم بـليل تسكنون فيه أفلا تبصرون • ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (٥) •

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا :

•• خلقتنا ربنا لنعبـذك ••• ونأتمر بأمرك ••• وننتهي بنواهيك ••• لكننا خطاءون بطبعنا ••• تستهوينـا أنفسنا ••• وتشغلنا من دونك دنيانا ••• فننسى الغاية من وجودنا ••• فننقضى أيامنا وليالينا نلهث وراءها ••• حتى إذا آذنت شمسنا بالمغيب ••• وأذنت أيامنا للرحيل ••• قدمنا على ما فعلنا ••• وبكىنا ••• ورجونا أيامنا أن تعود بنا القهقري ••• ولكن هيهات ••• فما فات ليس بآت ، والأيام تمضي إلى حيث يشاء الله ، ونحن مما جنت أيدينا تتضاءل أمام آثامنا حتى تضيق علينا الأرض بما رحبت ••• وتضيق علينا حتى أنفسنا وإذا بحديثك القدسي يبعث في قلوبنا الأمل ••• وإذا بكلماتك النورانية تهدي من روعنا ••• وهي تتردد في كياننا كما حدثنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال :

(٥) القصص : ٧١ - ٧٣

« يقول الله تعالى . . . يا عبدى لم تقنط ؟ . . . أليس أنا الذى أظهرتك . . . ولأمانى طوقتك . . . مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتني . . . وتتنحى كأنك ما وافقتني . . . »

عبدى : ان استقلتنا أقلناك . . . وان ثبت الينا قبلناك . . . وان عزمت على قصدنا أدنيناك . . . وان اضطرب دليلك أريناك . . . وان عادت نفسك فى حب ودنا واليناك . . . وان بكيت لضر دوائك داويناك . . . وان بكيت لضر شرك شفيناك . . . وان بكيت خشية أحضرناك . . . وان بكيت خوفا أمانك . . . وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك » (٦) .

وساعتها تنجاب عن نفوسا الظلمات . . . وتتغشانا بفضلك الرحمات . . . ويتردد فى آذاننا الحديث النبوى الشريف الذى نزداد به أمانا وأمانا . . . والذى قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم « ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها وآخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » (٧) .

رحمة الله للعالمين :

. . . ان رحمتك ربنا لا تحيط بمداهم العقول ولا تحدها

(٦) حديث قدسى رواه ابن مسعود رضى الله عنه .

(٧) متفق عليه .

الحدود .. فقد وسعت أرضك وسماءك * وبرك وبحرك ..
وانسك وجنك ... وزرعك وضرعك ... وحسبنا رحمة وراقة
وشفقة وكرما وجودا أنك مننت علينا بنبي الرحمة ... رحمت
به الوجود ... ورحمت به العالمين ... وأرسلته إلينا هاديا
ومبشرا ونذيرا ... فنعمت به الانسانية ... لما اتبعت النور
الذي أنزل معه ... ولما آمنت به وصدقته واتبعت سنته ...
واهتدت بهديه ...

وحسبنا ما جاء في كتابك الكريم مبينا مقام نبيك العظيم
الرحمة المهداة .. والنعمة المسداة .. : « وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين » (٨) .

رحمة الله للعالمين بظهر الغيب :

لقد رحمت به من اصطفيته من خلقك وهو بظهر الغيب
... واصطفيت له كل فرقة وكل قبيلة وكل بيت انتسب اليه ...

انه صلى الله عليه وسلم ينتسب الى أبى الأنبياء ابراهيم
... وسيرته في الدعوة الى الله مشرقة بنوره .. فقد افتدى
بنفسه أسمى القول وأحسنه ... ورضى بأن يحرق جسده
... لكن النار امتنعت عن حرقه ... وكانت بأمر ربها بردا
وسلاما على ابراهيم ...

(٨) الأنبياء : ١٠٧

قال تعالى : ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون • قالوا حرقوه وانصروا الهنكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ (٩) •

واصطفيت له ولده اسماعيل عليه السلام ••• وابنتيه برؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام ••• فامتثل الأمر ••• ورضى أن يذبحه أبوه •• فمنت عليهما بذبح عظيم ••

قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ••• قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين • فلما أسلما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ (١٠) •

واصطفيت له بنى هاشم بينا ••• وعبد الله أبا ليحمل هذا النور الى العالمين ••

وقد رأت هذا النور فاطمة بنت مر •• وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، ودعته أن ينكحها •• لكنه أبى •• وتزوج آمنة بنت

(٩) الأنبياء : ٦٦ - ٦٩

(١٠) الصافات : ١٠١ - ١٠٥

وهب ... فانتقلت إليها الرحمة ... ورأت حين حملت منه
آياتها ... وبشرت الوجود بما رأته وقالت :

« رأيت حين حملت به أن خرج مني نور أضاء قصور
بصرى من أرض الشام ... ثم حملت به ... فوالله ما رأيت
من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ... ودفع حين ولدته
... وأنه لو وضع يديه بالأرض ، رافعا رأسه الى السماء » .

رحمة الله للعالمين وخليمة السعدية :

وقد قالت خليمة السعدية رضى الله عنها من رحمته صلى
الله عليه وسلم ما أبدل حالها الى خير حال ... وسجلت ما
أصابها وقومها وأتائها وشارفها من فاقة ... قبل أن يمن الله
عليها برحمة الله للعالمين وقالت :

« خرجت في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ... على
أتان قمرء ... ومعنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة ...
وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ... من بكائه من
الجوع ... ما فى ثديي ما يغنيه ... وما فى شارفنا ما يغذيه
... ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ... فخرجت على أتافى
تلك حتى أزممت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا » .

قدمت خليمة رضى الله عنها مكة المكرمة مع صواحبها يلتصقن

الرضعاء من ذوى اليسار والغنى .. فأخذت كل منهن رضيعا ، الا
حليمة رضى الله عنها ... وتركهن محمدا لأنه يتيم ...

قالت حليمة تصف مشاعرها : « فما منا من امرأة الا وقد
عرض عليها محمد (رسول الله ﷺ) ... فتأباه اذا قيل
لها انه يتيم ... ذلك أننا نرجو المعروف من أبى الصبى
... فكنا نقول : يتيم !! ... وما عسى أن يصنع أمه وجلده ؟
فكنا نكرهه لذلك ... فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت
رضيعا ، غيرى .. فلما أجمعنا على الانطلاق قلت لصاحبى : والله
انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ... والله
لأذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذه ...

قال : لا عليك أن تفعل عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة
... فذهبت اليه فأخذه ... وما حملنى على أخذه الا أنى لم
أجد غيره » .

وقد أحسنت حليمة رضى الله عنها صنعا لما أخذت بنصيحة
صاحبها ... فقد حملت فى حجرها خيرا وبركة ، أبدلها الله
بعسرها يسرا ... وبضيق العيش سعة وفرجا ... وبكل هم
ألم بها مخرجا ... ولقد عبرت عن الرحمة التى تغمدتها ومن
حولها وقالت : « فلما أخذه رجعت به الى رحلى .. فلما وضعت
فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ... فشرب حتى

روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما
وما كنا ننام معه قيل ذلك

وقام زوجي الى شاربنا تلك .. فاذا انها لحافل ، فحلب
منها ما شرب وشربنا معه حتى اتتهينا ربا وشبعنا
فبتنا بخير ليلة » .

ولما رأى صاحبها ما أصاب الأسرة من نعيم وما
أفاء عليها من بركة .. قال لصاحبتها : « تعلمي والله يا حليلة ..
لقد أخذت نسمة مباركة » .

رحمة الله للعالمين والركب اليمون :

ولما عادت حليلة رضى الله عنها الى الركب رأت من أمر
أتانها عجبا ورأت صواحبها منها ما جعلهن يتعجبن
ويسألن حليلة رضى الله عنها وهي تسبقهن ويقولن : « يا ابنة
أبي ذؤيب ويحك أربعى علينا .. أليست هذه أتانك التي خرجت
عليها فتقول لهن : والله انها لهى .. فيقلن : « والله ان
لها لسانا » .

رحمة الله للعالمين في ديار بنى سعد :

وفي ديار بنى سعد تنزلت الرحمات لما قدم اليها محمد (نبي
الرحمة) ونزل الغيث واهتزت الأرض وربت وأنبئت الكلا
والعشب وكاثت من قبل جدباء لا ترى العين للحياة فيها

أثرا *** ولا ترى لبنا في ضرع *** ألا انه لما هلت البركات
بمقدم خير المخلوقات من الله على الديار ، فاذا بها وقد تبدلت
الى خير حال كما وصفتها حليلة رضى الله عنها وقالت : (ثم
قدمنا منازلنا من بنى سعد *** وما أعلم أرضا من أرض
الله أجذب منها *** فكافت غنى تروح حين قدمنا شباعا لبنا
فنحلب ونشرب *** وما يحلب انسان قطرة لبن *** ولا يجدها
في ضرع *** حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم :
ويحكم : اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب *** فتروح
أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن *** وتروح غنى شباعا لبنا
.. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة فى الخير حتى مضت سنتاه
وفصلته) *



the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

the eleventh is the fact that the

قال تعالى :

﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ +

(الأنعام : ١٢٤)



لله الفضل والمِنَّة

رحمة الله للعالمين وظهرارة النفس :

... لقد من الله على خلقه بخير خلقه ... وتزرع من صدره كل نقيصة تشينه ، وهو لم يزل على أول عتبة من عتبات الحياة ... وأعد له لرسائله ثقي السريرة طاهر القلب حتى اذا دعا الناس الى مكرمة كان أكرمهم خلقا ... وان دعاهم لعمل صالح كان أكثرهم صلاحا وحتى ترى الناس فيه صلى الله عليه وسلم مبادئ الاسلام السامية ... تراه رطب اللسان بذكر الله ، وبالطيب من القول ... وتراه رحيم القلب يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ... محسنا كأنما يرى ربه أمامه ... ملتزما بأوامره ... مجتنباً لنواهيه ...

... والله كما قال في كتابه الكريم ﴿ أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ... فقد طهره حتى لا تحجبه عنه وساوس النفس وهمزات الشيطان ، كما بين ذلك في حديثه الشريف وقال : « بينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجا ... ثم أخذاني فشقا بطني ... واستخرجا قلبي فشقا ... فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ... ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

« زنه بعشرة من أمته ، فوزنتى بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتى بهم فوزنتهم ... فقال : دعه ... فوالله لو وزنته بأمته لوزنها ... » .

حقا ... انه صلى الله عليه وسلم يزن أمته لأن أمته لم تذكر بين الأمم الا به ... ولأن أمته لم تسد غيرها من الأمم الا بالكتاب الذى أوحى اليه .

... وقبل هذا وبعده ، فان أمته لم تسجد لخالقها ... مسبحة بحمده الا لما اهتمدت بهديه صلى الله عليه وسلم وآمنت برسائله ...

رحمة الله للعالمين قبل بعثه :

... .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملاته ... وكمال سلوكه ... وحسن أخلاقه فى صباه ... وفى شبابه ... وقبل بعثه وبعد بعثه ، نسقا واحدا لم يتغير .. فقد لازمته أخلاقه السامية ... وسموه النفسى ... وسجاياه الحميدة فى مراحل حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى ..

ذلك أن الله اصطفاه .. وأوحى اليه بالنور الذى هدى به من يشاء من عباده ...

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما

كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم * صراط.
الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير
الأمور (١) *

سداد رايه ونفاذ بصيرته :

... ولعلنا لو عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بعثه لرأينا نفاذ بصيرته وسداد رايه رأى العين ... ولرأينا
الثقة التى من الله عليه بها ظاهرة للعيان ...

لقد سمته العرب « الأمين » وتحاكت اليه لما اختلفت
على الحجر الأسود ، وحاولت كل قبيلة أن تحوز الشرف وتحمله
من دون القبائل وتضعه فى الركن ...

... وكادت أن تتقاتل لولا أن أشار اليهم أسنهم بأن يحكموا
أول من يدخل المسجد الحرام *

وكان أول الداخلين محمد * فقالوا : هذا الأمين محمد
قد رضينا ، فأخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : هلم الى
ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود ووضعه فى الثوب بيده
وقال : لتأخذ كل قبيلة من ناحية الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ،

(١) الشورى : ٥٢ ، ٥٣

ففعّلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده الشريفة ، ثم بنى عليه . . .

حقا . . لقد كان صلى الله عليه وسلم نافذ البصيرة ، سديد الرأى قبل بعثه ، وكانت العرب تعرف قدرة أمينا صادقا ، عادلا ، فكان ما حدث يوم أعادت قريش بناء الكعبة . . .

ولعلنا نرى في هذا الحدث معنى كريما حمله الغيب بين جوانحه حتى اذا حانت الساعة وبعثه الله رحمة للعالمين ألف به القلوب وهدى به النفوس .

لقد اصطفاه ربه وأعدّه لرسالته ، فكان نسيجا وحده في بيئة متقاتلة متنافرة لم تجاوز من قبل مجتمعا راقيا لتتال منه حظا من علم أو معرفة ، لكنه صلى الله عليه وسلم نشأ وعين العناية تكلؤ وتحرسه وتهديه ، فكان قبل بعثه — كما وصفته خديجة أم المؤمنين وهي تهديء من روعه يوم نزل عليه الوحي — وقالت : « كلا والله لا يخزيك الله أبدا . . . انك لتصل الرحم . . . وتصدق الحديث . . . وتؤدى الأمانة . . . وتحمل الكل . . . وتقرى الضيف . . . وتعين على نوائب الدهر . »

* * *

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ • فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ •

(التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

رحمة الله للعالمين ومرآة العام :

• كان صلى الله عليه وسلم في كمال خلقه رحمة للعالمين .
وكان مرآة العام أمنا وأمانا للناظرين ، ومودة وحنانا ،
وطمأنينة للقلب وسلاما للمؤمنين ، وألفة للروح ووئاما لمن
أنعم الله عليه من المهتدين •

وصفت كتب السيرة محاسنه الظاهرة وقالت : بأنه كان
صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة ، ربة مقصدا ، معتدل الخلق
ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد • بادنا ، ليس بالجسيم ،
رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين •

وبأنه كان مشرق الوجه ، أبيض ، مشربا بحمرة ، أزهر
اللون ••• ليس بالأبيض الأمهق^(١) ••• ولا بالآدم^(٢) •••
ووصفته بأنه كان أدعج^(٣) العينين ••• أشكل^(٤) •••
أهدب^(٥) الأشفار ، أكحل من غير كحل •••

-
- (١) الشديد البياض .
(٢) الأسمر .
(٣) شديد سواد الحدقة .
(٤) شديد بياض العين مع سعة في شق العين .
(٥) كثافة وطول شعر الأجناف .

وقالوا ان عنقه كان في صفاء الفضة ، وان أسنانه كانت مثل حبات
اللؤلؤ ، وان ساقيه كانتا مثل جمار النخل ..

ووصفوا قدميه بالاستواء ، اذا وضعهما نبا عنهما الماء... ..

ولأن صورته الشريفة استأثرت بمشاعرهم ، فقد آثروه على
أنفسهم ... ووصفوه ببصائرهم قبل أبصارهم ، ورأوا في
محاسنه الظاهرة محاسنه الباطنة ...

وصفته عاتكة بنت خالد الخزامية لما مر عليها ليلة هجرته
ومعه الصديق أبو بكر رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى
أبي بكر الصديق ، ودليلهم عبد الله بن أريط
وصفته لزوجها وقالت :

« ... رأيت رجلا ظاهر الوضاعة ... حسن الخلق ...
لم تبعه ثجلة^(٦) ... ولم تزر به صعلة^(٧) ... قسيما وسيما ...
في عينيه دمع^(٨) ... وفي أشفاره وطف^(٩) ... وفي صوته
صل^(١٠) ... أحور^(١١) ... أزج^(١٢) ... أقرن^(١٣) »

-
- (٦) عظم البطن .
(٧) ضمير الرأس .
(٨) شدة سواد حدقة العين .
(٩) كثرة شعر الحاجبين .
(١٠) بحة في الصوت .
(١١) شدة بياض العين .
(١٢) دقيق طرف الحاجبين .
(١٣) بين الحاجبين شعر خفيف .

إذا صمت فعليه الوقار ••• وإذا تكلم سما وعلاه البهاء •••
 حلوا المنطق ••• كلامه فصل ••• لا نزر (١٤) ولا هذر (١٥) •••
 كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن •• أبهى الناس وأجملهم من
 من بعيد وأحسنهم من قريب ••• لا تشنؤه عين من طول •••
 ولا تفتحمه عين من قصر ••• غصن بين غصنين ••• فهو أنضر
 الثلاثة منظرا ••• وأحسنهم قدا ••• له رفقاء يحفون به •••
 إذا قال استمعوا لقوله ••• وإن أمر تبادروا الأمره •••

••• ووصفته ربيع بنت معوذ رضى الله عنها وقالت :
 « لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » اهـ •

••• ولقد صدقت الصحابية في وصفها ••• فقد كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس لما أشرقت بهديه
 ظلمات النفوس ••• واهتدت بنور رسالته القلوب ••• ورأت
 بما أوحى إليه الحق فاتبعته ••• والباطل فاجتنبته •••

••• لقد أحبه الصحابة رضوان الله عليهم ••• وقيموا
 بآثاره في الحرب وفي السلم ••• في الحياة وفي الموت •

••• وتعلقوا بآثاره حتى أنهم اقتسموا شعره يوم حلق
 رأسه في العمرة ••• فأخذ خالد بن الوليد رضى الله عنه شعرة
 فجعلها في قلنسوته ، يتيمن بها في غزواته ••• كما وإن أنس

(١٤) قليل •

(١٥) كثير •

بن مالك رضى الله عنه أوصى بوضع شعرات تحت لسانه بعد
موته تبركا بها ...
وفعل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه مثل ذلك
وهو فى سجن المأمون .. وأوصى بأن يجعل بعد موته شعرة
فى كل عين ... والثالثة تحت لسانه اقتداء بأئس بن مالك
رضى الله عنه (١٦) ...

.... هؤلاء الذين أحبوه ... واتبعوه .. رأوا آيات
الرحمة فى مرآة العام .. فأوحت اليهم بمحاسنه الباطنة ...
وكمالاته الخفية ...

أما من طبع الله على قلبه ... واتبع هواه ... فقد أظلمت
بصيرته ... فلم تر عيناه كماله وجلاله .. فكفر وجحد ...
وأنكر نبوته ... صدق هذا فى الصحابى عمرو
ابن العاص رضى الله عنه ... الذى رآه بعد اسلامه فى صورة
غير التى رآه قبل اسلامه ... فأعجزته مهابة النبى صلى الله
عليه وسلم أن يديم النظر فيه ...

وفى هذا المعنى يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : « الله
لم يكن شخص أبغض الى منه .. فلما أسلمت لم يكن شخص
أحب الى منه .. ولا أجل فى عيني ... ولو سألت أن أصفه
لكم لما أظقت ، لأنى لم أكن أملأ عيني منه اجلالا » .

(١٦) « شيخ الأمة - أحمد بن حنبل » .
الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل .

قال تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ... وَلَوْ كُنْتَ فَظًا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ... فَاعْفُ عَنْهُمْ ... وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

(آل عمران : ١٥٩)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

اخلاقه رحمة للعالمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل العالمين خلقاً ،
وأفضلهم خلقاً ، وأسماهم نفساً ، وأطهرهم قلباً •

ذلك لأن سلوكه صلى الله عليه وسلم ، ومعاملاته ،
وأقواله ، وأفعاله ، وعباداته كانت ترجمة صادقة لآيات القرآن
الكريم •

ولقد عبرت عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت : « كان خلقه القرآن »
فقد روى ذلك سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها
وقال :

« أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها :
أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه
القرآن » ، أما تقرأ : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) •

ولو تدبرنا آيات الله البيّنات لرأينا أخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحيد عنها قيد أنملة ، فقد كانت أوامر

(١) رواه ابن جرير •

ربه وفواهيته تنبض حياة في سره وجهره ، ويقظته ومنامه ،
وحربه وسلمه

وحسبنا دليلا على ذلك بعض الآيات الكريمة تتدبرها ونرى
أخلاقه صلى الله عليه وسلم على ضوئها لنرى ما قالت أم المؤمنين
رضي الله عنها حقيقة ماثلة أمام أعيننا ، فكاد نلمسها بأيدينا ،
ونراها ببصائرنا وأبصارنا •

لقد وصفته آيات ربه بالرحمة ، ووصفت معاملته لقومه
باللين في قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الأمر فاذا عزم فتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين ﴾ (٢) •

ولقد تجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يهدي قومه
الى الله ربا ، والى الاسلام دينا ، فدعاهم الى الرفق بأنفسهم في
عبادة ربهم كما يبين ذلك الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي
الله عنه قال : « دخل النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جبل ممدود
بين السارين » فقال : « ما هذا الجبل ؟ » •
قالوا : هذا جبل لزيب ، اذا فترت تعلقته به ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا فتر
فليرقدن (٣) •

(٢) متفق عليه •

(٢) آل عمران : ١٥٩

كما وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخشى على الناس أن
تستن به فيما يأتيه من أعمال قد يراها ثقيلة على الناس . . .
فيدع العمل بها رحمة بهم . . .

قالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدع العمل وهو يجب أن يعمل به خشية أن يعمل
به الناس فيفرض عليهم » (٤) .

. . . وكان صلى الله عليه وسلم رحيمًا بخدمه ، هذه
الرحمة التي يعرضها أنس بن مالك رضى الله عنه ويقول :
ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم . . . ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين . . . فما قال لى قط : أف . . . ولا قال لشيء فعلته
لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا (٥) .

ولم يكن مولى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها بأقل
حظا في رحمته من خدمه . . . فقد أعتقه وعامله أكرم معاملة تجلت
لما جاءه أهله من اليمن ليرافقهم الى قومه . . . وخير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أمره ان شاء رافق أهله وان شاء
أقام معه . . . فأثر الحياة معه لما لمسه في معاملته من رحمة
وشفقة ورأفة . . .

(٥) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

حقاً لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاً ولا غليظ القلب ... ولم يكن فاحشاً ... ولا بذيثاً ... ولا صخاباً في الأسواق ... بل بعثه الله رحمة للعالمين ...

ولقد لمسنا بعض آثار هذه الرحمة الربانية مع زوجه ، وولده ، وخدمه ، ومولاه ... ولو حاولنا أن نستسقى من فيض الرحمة التي من الله بها على الإنسانية لما وسعتنا هذه الصفحات ...

لذا سنحاول أن نتذوق من بحار رحمته قطرات نطفىء بها لهيب شوقنا الى حياة السلف الصالح التي أظلتها مبادئ الاسلام السامية ... والتي سادتها العلاقات الانسانية ...

..... ونحن لو مضينا تتدبر في آيات الله الكريمة التي هدته الى الطيب من القول ... والصالح من العمل ، ووصفته بقلبه اللين الذي تألفت به القلوب .. لرأينا أن هذه الآيات الكريمة تدعوه الى « العفو » عن الجاهل والسفيه والمسيء بقول أو فعل ...

ذلك أن الله - وهو أعلم بعباده من أنفسهم - أكرمهم بنبيه الذي وسع بعفوه ذوى النفوس المريضة .. وكان لهذا العفو أثره في شفائها وعودتها الى ركب الإنسانية مشرقة بنور الله ، طيبة طاهرة ...

لقد كان «العفو» من صفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد فجر به ينابيع البر والألفة بين قومه ، لأنه صلى الله عليه وسلم سما بهذه الفضيلة الى أسمى مكانة وأعلى منزلة ، حتى انه لم يعد لأحد مهما وصف به أن يسمو الى منزلته ، أو حتى يحوم حولها ، إلا فأين منا هذا الذي يناصبه أقرباؤه وجيرانه وأفراد عائلته وقومه العداء فيسبونه ويأتُمرون لقتله ويخرجونه من موطنه ويقاقلونه في مهجره ، ويمثلون بصحابتة أبشع تمثيل .. كل ذلك لكلمة حق قالها ... حتى اذا نصره ربه جاءت هذه العصبية خاشعة تنظر اليه من طرف خفى ، وهى تظن به الظنون حتى يحاورها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟! قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقد يتجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو الى مرتبة أسمى فيحسن الى من يؤذيه بكلمة جارحة أو سلوك معيب ، ويوقظ بعفوه واحسانه معانى الخير فى نفسه ، ويعظه بسلوكه الكريم ويدعوه الى ربه ليرق قلبه ويلين ، ويألف القول الطيب ، والمعاملة الحسنة مع نبيه صلى الله عليه وسلم ومع جماعة المسلمين .

عن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ،

فأدركه أعرابي فجذبته بردائه جبذة شديدة ، فنظرت في صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : « يا محمد مثرى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء » (٦) .

ولا غرابة فى ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يسمو بعفوه فيحسن الى من أساء اليه ثم يستغفر له لأنه ما جاء يدعو قومه والعالمين لينال مغنما فى الدنيا ، شرفا كان هذا المغنم أو جابها ، مالا كان أو سلطانا ، بل كانت دعوته خالصة يبغي بها وجه ربه ، فكان مقامه فى العفو عطاء واحسانا ، واستغفاراً ودعاء

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« ... كأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « ... اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » (٧) .

رحمة الله للعالمين والشورى :

لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلتزم بآيات

(٧) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

الله البيّنات في خلقه الحسن ... ولنمض مع هذا الالتزام النبوي
بأوامر ربه ... وهو يستشير الصحابة رضوان الله عليهم في
شئون حياتهم ...

لقد استشارهم في السلم وفي الحرب ... فانتظمت حياتهم
... وافتدوا دينهم بأرواحهم وأموالهم ... فتحقق لهم النصر
في دنياهم ... والفوز بالنعيم المقيم في آخراهم ...

لقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم في قتال المشركين
يوم « بدر » ... فقام أبو بكر رضي الله عنه ... ومن
بعده عمر رضي الله عنه فأحسن القول ... وقام من الانصار
سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف
منا رجل واحد ... وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا ...
انا لصبر في الحرب ... صدق عند اللقاء ... لعل
الله يريك منا ما تقر به عينك ... فسر على بركة الله .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا جاء أدنى
ماء من بدر نزل به ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي
الله عنه :

.. يا رسول الله ... أرايت هذا المنزل ؟! ... أ منزل
أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ؟! أم هو الرأي

والحرب والمكيدة ؟ ••• قال : بل هو الرأى ••• والحرب •••
والمكيدة ••• قال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل •••
فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ••• ثم نغور
ما وراءه من القلب ••• ثم نبني عليه حوضا فتملؤه ماء •••
ثم نقاتل القوم ••• فنشرب ولا يشربون ••• فقال صلى الله
عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى •

••• فنهض ومن معه من الناس ••• فسار حتى اذا أتى
أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت •••

الشورى فى غزوة ((أحد)) :

••• ولقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى غزوة
« أحد » ، وكان رأيه البقاء فى المدينة المنورة ويدع المشركين
حيث نزلوا ••• فان أقاموا حيث هم أقاموا بشر منزل • • •
وان دخلوا المدينة قاتلوهم •••

••• كان هذا رأيه ••• لكن قوما فاتتهم « بدر » أرادوا
الخروج ••• فنزل على رأيهم وخرج اللقاء أعدائه من المشركين ••
••• وهنا نلمس رحمته صلى الله عليه وسلم باتباعه •••
وهو يلقي المسلمين درسا عمليا فى الولاية ••• ويعلن للانسانية

أن أحدا كائنا من كان ومهما كانت قدراته ومواهبه لا يملك
أمر المسلمين وحده .. يفكر ويقرر ويدعوهم الى ما رآه

... لا أحد يملك هذا الحق ... لأن الانسان خطاء بطبعه
قد تغريه السلطة ... ويستعبده المال ... وتستولى على
عواطفه ومشاعره الشهوات ... فيتبع هواه ... ويسخر رعيته
لتحقيق مآربه ...

هنا نرى رحمته وقد وسعت الانسانية كلها لتنتظم
الحياة وتتحقق آدمية الفرد وخير الجماعة ..

﴿ فاذا عزمت فتوكل على الله ﴾ :

ثم تأمره الآيات الكريمة أن يعد عدته ... ويعقد عزمه
... ويدع الأمر لله يفعل فيه ما يشاء .

... وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره به
ربه « يوم أحد » .. لقد شاور أصحابه .. ونزل على رأى
الجماعة . واستعد للقاء المشركين ... فجاءه الذين خالفوه
يقولون :

« استكرهناك ... ولم يكن ذلك لنا .. فان شئت
... فاقعد صلى الله عليك » .

... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ... ما ينبغي لنبي إذا لبس الأمتة أن يضعها حتى
يقاتل » ... » .

الدعوة الى الله :

... وفي دعوته صلى الله عليه وسلم الى الله التزم بآيات
ربه ... والتبع المنهج الرباني في الدعوة ... ولم يخرج صلى
الله عليه وسلم عن هذا السبيل القويم الذي بينه القرآن الكريم
في قوله تعالى :

« ... ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي أحسن .. ان ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله .. وهو أعلم بالمهتدين » (٨) .

... ولقد تمثلت حكمته في المقال المناسب لكل مقام ...
والمثال الملائم لكل بيئة ... والقول المتسق مع كل فئة
اجتماعية ...

... عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ... قال :
وما أهلكك ؟! . قال : وقعت على امرأتى في رمضان . قال :

(٨) النحل : ١٢٥

تجد ما تعتقه • قال : لا • قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ • قال : لا • قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟! قال : لا • ثم جلس • فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعنق فيه تمر • فقال : تصدق بهذا • قال : فهل على أفقر منا ؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : اذهب فأطعمه أهلك •

وفي هذا الحديث الشريف تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس الى ربهم كما أمرته بذلك آيات الله البينات •

لقد عرض صلى الله عليه وسلم على الآثم سبلا عديدة ليكفر بما يطيعه منها خطيئته وفتح له أبواب الرحمة على مصراعيها ليدخلها من أى باب توهله له قدراته ، لكن الرجل معدم لا يملك شيئا •

ثم نرى الحكمة النبوية فى الدعوة وهو يدعو هذا الآثم الذى ضاقت به سبل التوبة جالسا أمامه ، لا يضيق بمجلسه صلى الله عليه وسلم ولا يتبرم ، ولا يقهره ، ولا يلومه : ولا يؤثبه على ما فعله : حتى اذا أتته الصدقة أعطاها له ليكفر بها عن ذنبه •

لكن الرجل يعلن أنه أشد الناس حاجة هو وأهله الى
هذه الصدقة .

يعلن ذلك ، وكأنما جاء ليبين للناس حكمة الرسول صلى
الله عليه وسلم في دعوته لربه ، فلا يغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، بل يضحك كما يبين لنا الحديث حتى بدت
نواجهه ، ثم يأذن له بذلك ليعود الى أهله بعفو الله عن خطيئته
وباحسان النبي صلى الله عليه وسلم وفضله .

الموعظة الحسنة :

ان آيات الله البيّنات أمرت رسوله صلى الله عليه وسلم
أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد رأينا ما يدل
على حكمته في الحديث الشريف الذي تعرضنا له .

أما دعوته للناس بالموعظة الحسنة فتتضمن في أحاديثه
الشريفة ، وأمثاله الموحية بالهدى والرشاد ، وصبره على سفاهة
المجادلين ، وقوله اللين ، وجوامع كلمه التي بلغ بها رسالة
ربه جليلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ومقالاته التي ناسبت
كل مقام .

وحسبنا دليلا على دعوته للناس بالموعظة الحسنة : أمثله
التي ضربها في أحاديثه الشريفة ، والتي كان لها أعمق الأثر

في هداية أتباعه ، لقوة دلالتها ، ولوضوح مرماها ، ومناسبتها
لمقام سامعيها ، والتي ما زالت وستظل في سمع المؤمن وقلبه
قوية ، مؤثرة ، ذات فعالية تحقق غايتها في كل آونة وحين .

وكفى بأمثاله شاهدا على موعظته الحسنة والتي لاءمت
كل زمان ومكان ، وكل بيئة علمية ، وكل مستوى حضارى ،
والتي ما زالت ألفاظها ، وعباراتها ، وأساليبها مألوفة كأنها
لغة العصر الذي نعيشه ، لا حشو في ألفاظها ، ولا غرابة في
نظمها ، وفي مدلولاتها .

ولنتدبر مثلاً ضربه يدعو فيه أتباعه لاختيار البيئة الصالحة
التي تزدهر فيها مبادئ الاسلام السامية ، وأخلاقه الفاضلة ،
وأعماله الصالحة ، ويجذروهم فيه من البيئة الفاسدة المفسدة
التي تحطم معنويات المسلم الصالح ، وتدمر قيمه ، ومثله العليا ،
والذي ضربه في حديثه الشريف الذي قال فيه :

﴿ انما مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء ، كحامل
المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك ، واما أن
تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن
أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد منه ريحا منتنة ﴾ ^(٩) .

(٩) رواه مسلم .

ان هذا المثل الذى دعا فيه الصحابة رضوان الله عليهم الى اختيار البيئة الصالحة التى تحفظ عليهم دينهم وقيمهم ، ومثلهم العليا ليعبر عن أسلوب دعوته كما أمره ربه •

كما وأن أثره الطيب كان يسرى هينا لينا فى قلوب الصحابة رضوان الله عليهم وهو يعظمهم وجلال النبوة يعشاهم ، ويعمر قلوبهم بنور الايمان ، فانه - وحتى الساعة والى أن يرث الله الأرض ومن عليها - سيظل يحمل عبر القرون كمال النبى صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه ، وصدقه ، وصفاء نفسه الى من يقرؤه أو يسمعه من الأجيال المتعاقبة •

ان الموعظة الحسنة التى انصهرت بها القلوب المتحجرة لتبدو فى أحاديثه الشريفة كلها ، وفى أمثاله التى ضربها ليعين بها حكما أو يصلح بها عملا فاستقا •

ولو حاولنا عرضها لما وسعتنا هذه الصفحات ، لذلك سنكتفى بحديث شريف آخر بين فيه حال العبد المسلم الذى لا تنهيه صلاته ، وصومه ، وزكاته ، عن إيذاء المسلمين ، وعاقبة السوء التى تنتظره يوم لقاء ربه وهو يعطى لذوى الحقوق حقوقهم •

لقد صورته الحديث الشريف أدق تصوير حتى وكأنا نلحظه ونراه وهو يعطى لهذا وذاك حقه فى عباراته ، ونكاد

(*) بسكون الياء فيهما ، راجع القاموس .

نشفق عليه وعلى أمثاله وهم في هذا الكرب العظيم ، وتمزق
نياط القلوب لما يصوره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصورته الكئيبة وقد انتهت عباداته ولم يزل العباد يطالبونه
بحقوقهم حتى تطرح عليه خطاياهم ، ثم يطرح في النار .

انها موعظة تذيب الصخر ، وتلين أقسى القلوب ، وتقشعر
لمغزاها وممرها جلود الجبابرة وهم يسمعون حديثه الشريف
الذى قال فيه لأصحابه ذات يوم :

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة
بصلاة ، وزكاة ، وصيام ، ويأتى ، وقد شتم هذا ، وقذف
هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى
هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته - قبل
أن يقضى ما عليه - أخذ من خطاياهم ، فطرح عليه ، ثم طرح
في النار » (١٠) .

ان الموعظة الحسنة التى أمرته بها آيات الله البينات لم
تكن لتقتصر على أحاديثه الشريفة التى ضرب فيها أدق الأمثال ،
والتي تناولت جوانب الحياة كلها فى الدنيا والآخرة ، بل لعلنا
لو تدبرنا أفعاله ، وأخلاقه ، وعبادته ، وجهاده لرأيناها موعظة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

(١٠) رواه مسلم .

ذلك أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ مولده
حتى يوم لقاء ربه كانت كتابا يعظ فيه الانسانية لما فيه
صلاحها في دنياها وأخرها •

فهو في صحته كان يعظ الناس بالحمد والشكر ، وبالصلاة
والصيام والدعاء وفضائل الأعمال •

وهو في مرضه كان يعظ الناس بالصبر والامتنان لقضاء
الله • •

وهو في جهاده كان يعظ الناس بشجاعته ، واخلاصه ،
وصدق عزيمته ، وقوة يقينه •

وهو مع أسرته كان يعظ الناس برحمته ، وبره ، ومودته ،
وأحسنه •

وفي ايجاز شديد نقول ان حياته كلها كانت موعظة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر •

المجادلة بالتي هي احسن :

نحن ما زلنا نتدبر آيات الله متمثلة في أخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنراها نابضة بالحياة وهو يدعو الناس
الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة •

ولنستقل الى مجادلتهم بالتى هى أحسن وهو يدعوهم الى
ربهم لنرى المجادلة الحسنة متكاملة مع الدعوة بالحكمة
والموعظة الحسنة •

ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو قلوبا
غلغا ، وأعيننا عميا ، وآذاننا صما ، وكان يدعو قوما أبطلوا الحق
وحاربوه ، وأحقوا الباطل وناصروه ، وأمثال هؤلاء هم أشد
الناس حاجة الى المجادلة بالتى هى أحسن •

ولولا أنه صلى الله عليه وسلم كان يستل أمر مولاه فى
جداله معهم لما اتبعوه ، وآمنوا به ، ونصروه •

لقد كانت السادة والأشراف ، وأصحاب المصلحة يجادلونه
جدالا يثير الحليم ، وكانوا يرون أن مبادئ الاسلام السامية
تقييد معاملاتهم ، وتقف حجر عثرة أمام شهواتهم وأهوائهم ،
فلا يدعون سبيلا يفترقون فيه على الله بكاذب القول ، وظالم
الافتراء الا سلكوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدحض
افتراءهم بالحجة البالغة ، والمنطق المفحم ، دون أن يؤذى
مشاعرهم أو يجرح كبرياءهم •

ولنعش مع حديثه الشريف وهو يحاور شابا رأى فى
الاسلام ومبادئه عقبة تقف دون شهواته ، فجاءه وقال يا نبي
الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس • فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : قربه ؟ أذن ، فدنا حتى جلس بين يديه . فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم : أتجبه لأمك ؟ قال : لا . . . جعلني
 الله فداءك . قال : كذلك الناس لا يحبونه الأمهاتهم . أتجبه
 لابنتك ؟ قال : لا جعلني الله فداءك . قال : كذلك الناس
 لا يحبونه لبناتهم . ثم ذكر العمة ، والخالة ، وهو يقول : لا . . .
 جعلني الله فداءك . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يده على صدره ، وقال :

« اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه » فلم يكن
 شيء أبغض إليه (١١) منه .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم حكمته ، وموعظته
 الحسنة في مواقف كثيرة ، نذكر منها ما رواه الصحابي معاوية بن
 الحكم رضى الله عنه قال :

بينما أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس
 رجل من القوم ، فقلت : «يرحمك الله» ، فرماني القوم بأبصارهم
 فقلت : ثكلتكم أمهاتكم ، ما شأنكم تنظرون الى ، فجعلوا
 يضربون أفخاذهم ، فلما رأيت أنهم يصمتوني سكت ، فلما
 صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبأبى هو وأمى ، ما
 رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما قهرنى ،
 ولا ضربنى ، ولا شتمنى ، وانما قال :

(١١) أى من الزنا ، والحديث رواه أحمد .

« ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ،
انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » .

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ :

لقد قد برنا آيات الله الكريمة التي تعرضت لرحمته صلى
الله عليه وسلم ، ورأينا كيف تمثلت في رحمته بأسرته وخدمه ،
كما وأتينا رأينا آيات الله الكريمة متمثلة في عفوه عن المسيء من
أصحابه وأعدائه ، وفي استغفاره لمن تجاوز حده في قوله وفعله ،
وفي مشاورته لأصحابه في حربه وسلمه ، والامتنال الأمر الجماعة
فيما يتصل بأمور دنياهم .

كما وأتينا تعرضنا لآيات الله التي بينت له سبيل الدعوة
الى الله ، ورأينا المنهج الرباني متمثلاً في أسلوب دعوته لم يحد
عنه قيد أفملة .

ولقد جمعت آية في القرآن الكريم كل ما اتصف به صلى
الله عليه وسلم من خلق فاضل في قوله تعالى : ﴿ وانك لعلى
خلق عظيم ﴾ (١٢) .

وحتى نرى أخلاقه القرآنية رأى العين : نتعرض الى قيمة

(١٢) القلم : ٤

خلقية أو أكثر حتى يتبين لنا التزامه الخلقى بهدى القرآن الكريم ، وليكن ما قدبره هو حلمه صلى الله عليه وسلم .

كان الحلم من أخلاقه الكريمة التى تحلى بها . وكان فى حلمه القصة التى ترنو اليها النفوس لتنال من هذا العطاء الربانى ما ييسر لها سبل التعامل مع ذوى الطبائع والأخلاق والعادات المتباينة

لقد فاق فى حلمه كل وصف وسما به وارتقى الى اسى مراتبه والا فآين ذلك العظيم الذى يدنس له عدوه أقدس مقدساته فلا ينتقم منه ولا يعضب ولا يشور ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ... بال أعرابى فى المسجد ... فقام الناس ليقعوا فيه ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ... دعوه ... وأريقوا على بوله سجلا من ماء (أو ذنوبا من ماء) فانما بعثتم ميسرين ... ولم تبعثوا معسرين » (١٣) .

... وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم « الصدق » ... وقد تحلى بهذه الصفة الكريمة فى صباه .. وفى شبابه ... وفى كهولته ... تحلى به وبغيره من مكارم الأخلاق .

(١٣) رواه البخارى .

... وكان لهذه الفضيلة السامية أثرها القوي الذي أبطل
افتراء المشركين ... ذلك أن صدقه قبل بعثه كان حجة مفصحة
لصدقه في دعوة قومه الى ربهم ... ولو كان كاذبا - وحاشا
لله أن يكون - لكذب على الناس ولما التزم الصدق
في حياته كلها .

... لقد سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل
الصفاء ، ونادى القبائل حتى اجتمعت ، ودعا قومه الى الاسلام
وقال : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير
عليكم ... أكنتم مصدقي ؟ ! » فأجابوه قائلين : ... نعم
... ما جربنا عليك كذبا قط ... فقال لهم : « فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد ... » .

وكان صلى الله عليه وسلم يرى الصدق سمة من
سمات المسلم... وعنصرا من عناصر شخصيته ، لا تفارقه في أحواله
كلها ...

وكان يلتبس العذر للمسلمين بحكم بشريتهم الخطاء ...
ونفوسهم الأمارة بالسوء ... وضعفهم البشري ..

كان صلى الله عليه وسلم يلتبس العذر لنقائصهم الخلقية
... وآفاتهم النفسية .. الا أنه كان لا يعذر أحدا من
المسلمين في الخيانة والكذب كما بين ذلك في حديثه الشريف

وقال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة
والكذب » (١٤) .

... كما وأنه كان يسقت من تخلق بهذه الصفة كما حدثتنا
بذلك عائشة رضى الله عنها وقالت : « . . ما كان من خلق
أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب . . .
ما اطلع على أحد من ذاك شيئا فيخرج من قلبه حتى يعلم
أنه قد أحدث توبة » (١٥) .

... كان صلى الله عليه وسلم لا يعذر الناس في صفة
الكذب . ولا يقبل فيه تبريرا حتى ولو ادعى المسلم في كذبه
بالمزاح . بل الأكثر من هذا أنه بين في حديثه الشريف أن
الكذب في المزاح ينال من ايمان المؤمن وينتقص منه .

وفي هذا المعنى . . قال : « لا يؤمن العبد الايمان كله
حتى يترك الكذب في المزاح » (١٦) .

... ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث
آخر ، بين فيه منزله الصدق عند الله وجزاء الصادق

(١٤) رواه أحمد .

(١٥) رواه أحمد والبخاري واللفظ له .

(١٦) رواه أحمد .

في دنياه ... وأخراه ... وثوابه عند ربه يوم يلقاه ، وقال « ان
الصدق يهdy الى البر ... وان البر يهdy الى الجنة ... ان
الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ... وان الكذب
يهdy الى الفجور ... وان الفجور يهdy الى النار ... وان
الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » (١٧) .

ومن هاتين الصفتين الكريمتين التي تحلى بهما « الحلم »
و « الصدق » .. وغيرهما من مكارم أخلاقه : نرى كيف تشلت
في أخلاقه آيات ربه في قوله تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق
عظيم ﴾ ...

... وحقا .. ما قالت عائشة رضى الله عنها ، لما وصفت
أخلاقه صلى الله عليه وسلم وقالت : « كان خلقه القرآن » ...
والقرآن الكريم كان ... شفاء ورحمة ونورا ، هدى الله
به القلوب ... فأشرقت بنور ربها ... ومحيى الله به ظلمات
النفوس ... فاهتدت بهديه ...

قال تعالى : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ (١٨) .

... والمصطفى صلى الله عليه وسلم - وقد تخلق بأخلاق
القرآن - كان بكارم أخلاقه ... وفضائل أعماله رحمة
للعالمين ...

قال تعالى :

﴿ يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن
لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ .

(الأحزاب : ٤٥ - ٤٧)

أمة مؤمنة وأخرى كافرة

... لقد حملت الأمة العربية مشاعل الحضارة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن تألفت القبائل وتآخت وتراحت ... وصارت أمة لها قاعدتها في الحياة ... ولها غايتها النبيلة في الدنيا والآخرة ... ولها مثلها العليا ... وقيمها الاجتماعية التي لم تر الانسانية حضارة تماثلها في الحضارات التي سبقتها ، ولا في التي تلتها •

... ذلك لأنها حضارة كرس نظامها الاقتصادي ... والسياسي ... والاجتماعي لسعادة الانسان وأمنه مع نفسه ... ومع أسرته ... ومجتمعه ...

ولو تدبرنا سر أزهار الحضارة الإسلامية لوجدناه في تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفرد والجماعة ... حتى تربت على مبادئ الإسلام السامية •

... تعهد الفرد في يقينه بربه ... وقوة إيمانه ... وصدقه في الدعوة إلى الله ...

وتعهد جماعة المسلمين ورعاها حتى صاروا في سنين معدودات قادة الدنيا وسادتها ... وأقاموا هذه الحضارة السامية على دعائم الحق ... والهدى ... والنور ...

... ولعل خير سبيل ندرك به رحمة الله بأمة العرب ...
ويد الرسول الرحيمة التي أخذت بأيدي هذه القبائل حتى
صارت أمة راقية تهدي الناس ...

لعل خير سبيل لهذا هو أن نقابل بين حياتين حياة
العرب قبل الاسلام ... وحياتهم بعده ، لنرى آثار رحمة الله
للعالمين بالعرب لما استنت بسنته ... واقتدت به ... واهتلت
بهديه •

حياة العرب قبل الاسلام :

... عاشت العرب قبل الاسلام بعقيدة فاسدة ... وبنظام
قبلي مدمر ، وبعادات اجتماعية قاتلة •

أما عقيدتها الفاسدة فقد شرعت لها السدنة ، وزينت
الباطل حقاً ، والشرك ايماناً ، وعبادة الأصنام ديناً • فضلت
عن سواء الصراط ، وطافت حول الطواغيت ، وأهدت لها •
وغيرت وبدلت في الحنيفية التي جاء بها أبو الأثياء ابراهيم
عليه الصلاة والسلام •

أما عاداتها ، وقيمها الجاهلية ، وعلاقاتها ، ومعاملاتها ،
وحياتها الاجتماعية ، فكانت وبالا على الفرد والجماعة ، وخسرانا
مبيناً •

وحسبنا دليلا على ذلك وأد البنات اذا بلغن سن الزواج ولم يتزوجن . فقد كانت هذه العادة في عرف المجتمع شرفا وفخارا ، وهو في حقيقة الأمر ، وعرف الانسانية ذلة وعار .

وكانت الأسرة وهي تقر هذه العادة المدمرة لكل قيمة خلقية ، وعلاقة اجتماعية ، تقضى على أسمى علاقة في الوجود ، وأقبل عاطفة في الأسرة . تلك هي عاطفة الرحمة والمودة ، والحب والألفة ، والرفق والتعاطف .

حقا لقد كانوا يدفنون الغاية التي تكونت لها الأسرة ، ويهيلون التراب على المودة والرحمة التي بينتها آيات الله البنات في قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

لكن القلوب القاسية ، والنفوس المظلمة ، والعقول المريضة زينت المنكر معروفا ، والباطل حقا ، فاتبعوا أهواءهم ، وانقادوا لشيطانهم كما بينت ذلك آيات الله في قوله تعالى :

﴿ واذا بشر أحدهم بالاثني ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ (٢) .

(١) الروم : ٢١

(٢) النمل : ٥٩ : ٦٠

أما الحياة القبلية فقد أودت بكل علاقة كريمة ، وبكل معاملة
حسنة بين الفرد والجماعة ، فكان البطش والبغى والعدوان
من سماتها ، والسلب والقتل وهتك الأعراس من دعائم كيائها •

فلا غرابة أن نرى المرأة الجاهلية وقد أنكرت أنوثتها ،
ورقة مشاعرها ، وتطبعت بما أوحى إليها آلهتها اللات ، والعزى
وهبل ، فصارت مثلها لا تبصر ، ولا تسمع ، واستبدلت رقة
قلبها بقسوة الحجارة التي عبدتها ، وسبحت بحمدها •

ولا عجب أن نرى هند بنت أبى سفيان تبقر بطن سيد
الشهداء حمزة ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وتلوك كبده
بأسنانها فى غزوة « أحد » •

وفاهيك عن مجتمع هذا شأن نسائه ، فما بالك برجاله ،
وما أمره فى حربه وسلمه ، وغناه وفقره ، وقوته وضعفه ، وفى
الحاده وكفره وشركه •

ولعلنا لن نحتاج الى من يبين لنا فضل الاسلام على
العرب ، ولا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى
أخرجهم من ظلمات الجاهلية الى نور الرحمة الالهية •

لن نحتاج الى جهد نبذله لذلك على ذلك ، ولكن حسبنا أن
نرى كيف تبدلت قسوة قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله

عنه رحمة ، وألفة ، ومودة بعد اسلامه ، وكيف خرج من المسجد
يسأل عن بكاء طفل رق له قلبه ، ويحاور أم الطفل عن سر بكائه
هذا الحوار :

عمر : ويحك • انى لأراك أم سوء ، لماذا يبكى ابنك ؟!

الأم : اسأل عمر بن الخطاب •

عمر : وما شأن عمر بن الخطاب ببكاء ابنك ؟

الأم : انه يبكى هكذا منذ أربعة أيام ، لقد فطمته وهو
لم يكمل الحول •

عمر : لماذا فطمته ؟

الأم : لأن عمر بن الخطاب لا يفرض فى بيت المال الا
للطفل الفطيم •

فاذا بعمر يرق قلبه ، ويأمر مناديا ينادى
فى الناس بأن لا يمنعوا أطفالهم من الرضاع لأنه
سيفرض لكل مولود ، والأسمى من ذلك أن يرق قلبه ولا يدع
أحدا من أمة الاسلام ليخرج مشاعر لقيط ظلمه أبواه ،
ونبذاه دون رحمة ولا شفقة خوفا من القضيحة والعار ، فكان
لا يفرض لمن يتكفل بتربية اللقيط الا بعد أن يقسم أمامه بأن
لا يخرج مشاعره ، ولا يؤذيه اذا كبر ، ولا ينال من كرامته
ولا يخبره بأنه لقيط •

وعمر الذى حفظ للقيط آدميته ، وأبى هوانه وذلته ،
وأخذ على كفيله العهد أن لا يخبره بحقيقة أمره لما يبلغ
أشده ، كان قبل اسلامه قاسى القلب ، فظا غليظا ، لا يحن
لكسير خاطر ، ولا لفقير ، وكان يضرب جارية بنى مؤمل لما
أسلمت ضربا مبرحا دون شفقة ، ولا يضع السوط من يده
الا بعد أن يمل من ضربها وهو يقول : ما تركتك
الا ملالة •

وتبدو لنا صورة عمر بعد اسلامه مناقضة لصورته في
الجاهلية ، لأن رحمة الله لما هلت بشائرها بمبعث الرحمة •
المهداة ، لانت القلوب ورقت ، وحسنت الأخلاق وسمت ،
وصارت أمة العرب فى أخلاقها ، ومعاملاتها ، وتوادها ،
وتراحتها مرآة ترى فيها الانسانية مبادئ الاسلام السامية •

جعفر بن أبى طالب والنجاشى :

ان السمو الوجدانى ، والرقى الخلقى ، والتألف الروحى
بين المسلمين ليزداد وضوحا ان عرفنا ما قاله سيدنا جعفر
ابن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى مبينا فضل النبى صلى
الله عليه وسلم على العرب ، ومقارنا بين حياتين متقابلتين ،
حياة جاهلية كحياة الأنعام أو أضل سبيلا ، وحياة بعد
الاسلام كرمت الانسان وشرفت الانسانية بقيمها ، ومثلها ،
وعزتها •

قال جعفر للنجاشي :

« أيها الملك ... كنا قوما أهل جاهلية .. نعبد الأصنام
ونأكل الميتة ... ونأتى الفواحش ... ونقطع الأرحام ..
ونسئء الجوار ... ويأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على
ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا .. نعرف نسبه ...
وصدقه .. وأماقته ... وعفافه .. فدعانا الى الله لنوحده
ونعبده ... ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من الحجارة
والأوثان ... وأمرنا بصدق الحديث ... وأداء الأمانة ..
وصلة الرحم .. وحسن الجوار ... والكف عن المنكر
والدم ... ونهانا عن الفواحش ... وقول الزور ... وأكل مال
اليتيم ... وقذف المحصنات ... وأمرنا أن نعبد الله
وحده ... ولا نشرك به شيئا ... وأمرنا بالصلاة ...
والزكاة ... والصيام ... »

كانت حياة العربي قبل الاسلام لا تمت الى الآدمية
بصلة ... أما حياته بعد الاسلام ... فتبدو لنا من خطبة
جعفر رضى الله عنه حياة راقية ... وعلاقات مع مجتمعه
كريمة ... والتزام مع النفس بكل معانى الخير ... وعبادة
صحيحة علمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى
عنها رب العزة والجلال ..

وتبدلت الأحوال .. لما أسلم العربي نفسه وماله وولده

لربه .. ابتغاء مرضاته ... فصار يلهج بالثناء على ذاته
العليا ... ويدعو ربه بأسمائه الحسنی ... يدعو
شافيا ... ومحيا ومميتا .. ويدعو .. هاديا .. ورازقا
جواد كريما .. ويدعو قويا عزيزا .. شديد العقاب ...
غفورا رحیما ..

لقد امتزجت روحه بآيات الله .. وصارت في شفافيتها
تلهج بحمد الله ... في خشوع ... وتتضرع الى المغفرة
والرحمة والرضا والرضوان ... ويتردد في قلبه صدى
قوله تعالى :

« ... الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني
ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ،
والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » (٣) .

لقد اطمأنت النفس بكتاب ربها . بعد أن كانت من قبل
ثائرة تموج وتضطرب بما يمليه عليها شيطانها ... كما بشرها
بذلك رسولها صلى الله عليه وسلم وقال :

« ... ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله .. يتلون
كتاب الله ... ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ...

وغشيتهم الرحمة .. وحفتهم الملائكة ... وذكرهم الله فيسب
عنده « (٤) » .

... هذه السكينة التي تنزلت على العربي بعد
اسلامه ... والرحمة التي تغشته .. لازمته في صحته ..
ومرضه ... في قوته وضعفه ... في غناه وفقره ... وفي يقظته
وفى منامه .. فقد اهتمدى بهدى نبيه ... وعبر عن سكينة
نفسه ... وهو يقول حين ينام .. كما علمه رسوله صلى
الله عليه وسلم :

« ... اللهم أسلمت نفسي اليك ... ووجهت وجهي
اليك ... وفوضت أمري اليك ... وألجأت ظهري
اليك ... رغبة ورهبة اليك .. لا ملجأ ولا منجى منك
الا اليك ... آمنت بكتابك الذي أنزلت ... ونيك الذي
أرسلت » (٥) .

... هذا شأن العربي بعد اسلامه في منامه ... فما شأنه
في يقظته ... وفي يسره وعسره .

... انه يأخذ بالأسباب ان أصابته ملة ... ويدع
الأمر لله .. يفعل به ما يشاء .

(٥) رواه البخارى .

(٤) رواه مسلم .

... وهو فيما يفعله .. يتبع نبيه * الذى أسلم نفسه
لربه لما دعا ثقيف الى الله فى الطائف .. فكذبه سادة
ثقيف ... وأغروا صبيانهم وسفهاءهم يسبونهم ويقذفونه
بالحجارة .. فلجأ الى ربه يشكو ما فعله القوم به : « ...
ويطلب رحمته ومغفرته ويقول : « ... اللهم اليك أشكو
ضعف قوتى * وقلة حيلتى ... وهوانى على الناس ..
يا أرحم الراحمين ... أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. الى
من تكلنى ... الى بعيد يتجهمنى ... أم الى عدو ملكته
أمرى ... ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى .. ولكن عافيتك
هى أوسع لى ... أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به
الظلمات .. وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل على
غضبك ... أو يحل على سخطك ... لك العتبى حتى
ترضى ... ولا حول ولا قوة الا بالله ... » .

واستنت العرب بهذه السنة الحميدة ... واقتدت بهذه
القادة الصالحة لما أسلمت روحها الى بارئها فى كل أمر من
أمر حياتها .

... لكن العربى بعد اسلامه وهو يفعل ذلك أدى ما ألزمه
به ربه ... فحفظ عهده وميثاقه معه ... فأسلمت مع نفسه ...
ومع قلبه ... جوارحه ... فهو بهذا الأمن والأمان النفسى .

... وبهذه السريرة الطاهرة .. والقلب المطمئن حفظ
لسانه من كل فحش ... وجوارحه من كل خطيئة .. فحفظه
ربه ... كما بشره بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
الشريف الذي رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خاف
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا غلام انى أعلمك كلمات :
احفظ الله يحفظك ... احفظ الله تجده تجاهك ... اذا سألت
فاسأل الله ... واذا استعنت فاستعن بالله ... واعلم أن الأمة
لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه
الله لك ... وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك ... رفعت الأقلام وجفت
الصحف » (٦)

* * *

(٦) رواه الترمذى .. وقال حديث حسن صحيح ...

11

12

13

قال تعالى :

﴿ ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها .
قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ .
(الشمس : ٧ - ١٠)

1

1

1

النفس التقيّة

... لقد ارتقت نفس العربي بعد اسلامه ... وسمت ...
واهتدت ... وعادت الى فطرتها السوية التي فطرها الله عليها ...
وأشرقت بنور ربها ... ونبذت كل نقيصة تشينها ... وتطهرت
من عللها وأمراضها ... والتزمت بمكارم الأخلاق التي دعاها
اليها نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ... اياكم والظن .. فان الظن أكذب الحديث ...
ولا تحسسوا ... ولا تجسسوا ... ولا تنافسوا ...
ولا تحاسدوا ... ولا تباغضوا ... ولا تدابروا ...
وكونوا عباد الله اخوانا ... المسلم أخو المسلم ...
لا يظلمه ... ولا يخذله ... ولا يحقره ... التقوى
ها هنا ... التقوى ها هنا - وأشار الى صدره الشريف -
بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ... كل المسلم
على المسلم حرام : دمه ... وعرضه ... ودينه » (١) .

... رأت الصحابة رضوان الله عليهم التقوى في رسول
الله صلى الله عليه وسلم ... ورأوا الطهارة والنقاء ... ورأوا
صفاء النفس وهو يوجه الناس ويرشدهم ... ويحذر من

(١) رواه مالك والبخاري ومسلم واللفظ له . .

يوغر صدره بما حدث بينه وبين من حوله ... كما
قال في حديثه الشريف : « ... لا يبلغني أحد منكم عن أحد
من أصحابي شيئا ... فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم
الصدر » (٢) .

♦♦♦♦ ثم أراهم صفاء النفس ... ونقاء السريرة في
غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

♦♦♦ لقد رأوا بأعين رءوسهم أن الأعمال بالنيات وأن من
أخلص وصدق ربه فله حسن الثواب .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « ... كنا جلوسا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع الآن عليكم
رجل من أهل الجنة ... فطلع رجل من الأنصار تنطف (٣)
لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال ... »

قال أنس رضى الله عنه : ان الرسول صلى الله عليه
وسلم قال ذلك ثلاث مرات ... فلم يكن الا ذلك الرجل ...
فلما قام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ، وقال له :
« ... انى لاحيت أبى (٤) فأقسمت أن لا أدخل ثلاثا ...
فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت . »

(٣) تنقطر ماء .

(٢) رواد أبو داود .

(٤) خاصمت .

••• قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه بعد أن بات معه ثلاث ليال انه لم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا تعار^(هـ) •• ذكر الله عز وجل حتى صلاة الفجر وانه لم يسمعه يقول الا خيرا ، حتى كاد عيد الله بن عمرو رضى الله عنه أن يحتقر عمله •• وسأله عن الذى بلغ به ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ••• قال الرجل : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا •• ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه ••• فقال عبد الله رضى الله عنه : هذه التى بلغت بك » •

••• ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقى بالنفس البشرية ••• ويسمو بها ••• حتى كاد الصحابى أن يشم عرف^(و) الجنة لما خشى ربه واتقاه ••• وحتى كادت النار تلعفه بلهيبها ان خالفه وعصاه •

••• روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك الأنصارى : كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت بحمد الله مؤمنا حق الايمان ••

قال : انظر ماذا تقول يا حارثة ؟ •• وما حقيقة ايمانك ؟!

(هـ) بالراء المشددة المفتوحة ، استيقظ من الليل .
(و) بفتح العين : الرائحة .

قال حارثة : لقد عزفت نفسي عن الدنيا وأقبلت
على الآخرة فأسهرت ليلي .. وأظلمات نهارى
فصرت كائن أنظر الى عرش ربي بارزا والى أهل الجنة
فى الجنة يتزاوون والى أهل النار فى النار يتضاغون
ويكون

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

... لقد عرفت يا حارثة فالزم (٦) .

... ولعل فيما فعلته المرأة العربية التى اتبعت هواها ..
لدليلا على أن النفس التى تعهدتها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتربيتها لم تعد ترضى بالخطيئة ... فان أضلها شيطانها
باتت تلوم صاحبها ... وتنغص عليه أمنه حتى تنظهر كما
أراد لها نبيها صلى الله عليه وسلم .

... عن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من
جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى جلى من
الزنا ، فقالت :

« .. يا نبي الله أصبت حدا فأقمه على ... فدعا

(٦) رواه الطبرانى .

نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها ... فقال : أحسن اليها .. فإذا وضعت فأتني بها ... ففعل ... فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ... فشكت عليها ثيابها ... ثم أمر بها ... فرجمت ثم صلى عليها ...

فقال له عمر : تصلى عليها يا نبي الله وقد زنت ... قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم ... وهل وجدت توبة أفضل أن جادت بنفسها لله تعالى (٧) .

النفس المظمنة وفتنة المال :

... اطمأنت النفس لما سقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيض رحمته ، وبعث فيها الرضا بما قسمه الله وقال :

« من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » (٨) .

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصى أتباعه بالقناعة ويقبل هو على الدنيا - وحاشا أن يفعل ذلك

(٨) رواه الترمذی .

(٧) رواه مسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم - بل كان في بيته ، ومع أهله مثلاً للقناعة ، والزهد ، والرضا بما قسمه الله له .

وحسبنا دليلاً على ذلك ما تركه بعد أن لحق ببجوار ربه وهو الذي كانت تأتية الغنائم وأموال الزكاة ، والذي دانت له جزيرة العرب كلها ، وأسلمت قيادها ، بعد أن اهتدت بهدى نبيا .

لقد ترك صلى الله عليه وسلم درعه مرهونة عند يهودى ، كما تروى ذلك أم المؤمنين رضى الله عنها .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاع من شعير « (٩) » .

وما أعمق إيمان العبد المسلم الذى تشرى نفسه ، فلا يطمع فى ما لا حق له فيه ، والذى لا يعد المال غاية يسعى إليها ، والذى صدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » (١٠) .

(٩) متفق عليه .

(١٠) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى .

ذلك أن النفس ان لم تغنى بإيمانها فترضى بما من الله عليها ، ظلت فقيرة أبد الدهر ، ولو ملكت الدنيا بذهبها وفضتها •

ولعلنا لو نظرنا حولنا لرأينا المال غاية الناس في عصرنا الحاضر الذى اتسم بالمادية فى أمور حياتها كلها حتى كادت فتنة المال أن تقوض دعائمها ، فتنهار على رعوس عباد المال ، كما انهارت الحضارات التى سبقتها •

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يربى النفوس الجشعة كما تربى الأم طفلها الرضيع ، وفى نصائحه للصحابى حكيم بن حزام رضى الله عنه خير دليل على ذلك •

... قال حكيم بن حزام رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ... ثم سأله فأعطانى ... ثم سأله فأعطانى ... ثم قال : « يا حكيم ... ان هذا المال خضر حلو ... فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ... ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه • • وكان كالذى يأكل ولا يشبع ... واليد العليا خير من اليد السفلى » •

قال حكيم : فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرى أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا •

•• وكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه
العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا •

••• ثم ان عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن
يقبله فقال :

« يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم ••• انى
أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفء فيأبى
أن يأخذه • فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى
الله عليه وسلم حتى توفى » (١١) •

وكان لهذه النفس النقية الراضية المطمئنة التى عرفت
عظمة ربها وجبروته ••• واطمأنت لرحمته ومغفرته وجناته ••
أثرها فى العلاقات الاجتماعية ••• فصاحبها ان عمل خيرا فى
دنياه : لا يبغي الا رضا مولاه ••••• لالتزامه فى ذلك بالحديث
القدسى :

••• عن أبى هريرة رضى الله عنه ••• قال ••• قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ••• ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : ••• يا ابن آدم
مرضت فلم تعدنى ؟ ••• قال : يارب كيف أعوذك وأنت رب
الكونين ••• » (١١) متفق عليه •

العالمين؟! قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض ولم تعده...
أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ ... يا ابن آدم
استطعمتك فلم تطعمني ... قال : يا رب كيف أطعمك وأنت
رب العالمين؟! ... قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان
فلم تطعمه ؟ ... أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك
عندي ؟ ... يا ابن آدم استطعنتك فلم تسقني؟! ... قال :
يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! ... قال : استطاع
عبدى فلان فلم تسقه ... أما علمت أنك لو سقيته لوجدت
ذلك عندي (١٢) .

وتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفوس المظلمة
التي أضلها الشيطان فأشرقت بنور ربها لما ألهمها ربها
تقواها ، فأثمت أكلها : صدقا ، ووفاء ، وكرما ، وإحسانا ...
وأثمرت برحمة ربها عملا صالحا ، وإيمانا كاملا ، ويقينا
صادقا ... وتآلفت زوجا وزوجة ، وولدا وعلما ، ورحما
وجارا ...

... وصارت الأسرة المسلمة آية من آيات الله ... ونواة
لمجتمع إسلامي قام على دعائم الحق والهدى ، والبر والتقوى ،
والتعاون والجهاد ...

(١٢) رواه مسلم .

the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

قال تعالى :

﴿ ... ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون .

(الروم : ١١)

الأسرة المسلمة

رحمة الله للعالمين والاسر المسلمة •

تعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء النفوس على هدى مبادئ الاسلام السامية ، فتآلفت وتحابت وصارت بنعمة الله اخوانا • ومن هذه القلوب المشرقة بنور الله ، والنفوس التقية بفضل الله تكونت الأسرة المسلمة •

والأسرة المسلمة آية من آيات الله بتراحمها وتآلفها وتعاونها على ما فيه الخير لها وللمن حولها •

فالزوج مظلة يقي زوجته قيظ الحياة ، فتنعم معه بطيب العيش وتنهل معه من أسمى معانيها مودة ، وألفة ، ورحمة •

وهو درعها التي تتقى به غدرات الزمان ، ومنغصات الحياة ، وهو الذي يحمي زمارها ، ويصون كرامتها ، ويمهد لها سبيل العيش الآمنة لتمضي معه حياتها في هناءة البال ، ورغد العيش •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لمن عاصره ، ومن جاء بعده ، وسيظل أسوة حسنة للانسان حيث كان حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وتراحت الأسرة وتآلفت وتحابت ، لما اقتتدت برحمة
الله في معاملته لزوجته وولده وخدمه ومواليه ، فاستقت الأسرة
المسلمة من نبع الرحمة الفياض ، واتبعت أثر النبي صلى الله
عليه وسلم في حياته مع أسرته شبرا بشبر ، وذراعا بذراع •

رحمة الله للعالمين وأمّهات المؤمنين :

وكانت رحمته التي بعثه الله بها للعالمين من أهم دوافعه
في زواجه صلى الله عليه وسلم بأمّهات المؤمنين •

فقد تزوج « سودة بنت زمعة » رضى الله عنها بعد موت
زوجها ليعولها • وكان زوجها من السابقين في الاسلام •

وتزوج « أم سلمة » رضى الله عنها بعد موت زوجها اثر
جراحه في غزوة « أحد » ليعولها هي وأولادها •

وتزوج أم حبيبة « رملة بنت أبي سفيان » رضى الله عنها ،
وكانت ممن أسلموا وهاجروا الى الحبشة وهناك تنظر
زوجها وتركها فريسة الخوف من عقاب أبيها ان عادت
الى مكة المكرمة والخشية من الغربة دون زوج وولد
ومال ان بقيت في الحبشة فتزوجها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فأمنها من انتقام المشركين ان عادت ...
أو آلام غربتها ان آثرت البقاء في الحبشة

وتزوج صلى الله عليه وسلم « زينب بنت خزيمة » بعد أن استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضى الله عنه في غزوة « أحد » ... وتزوجها وتكفل بها ، اذ لم يكن لها كفيل من قومها .

وتزوج صلى الله عليه وسلم « صفية بنت حيى » بعد أن هلك زوجها وأخوها ... وهلك معهم أبوها سيد بنى قريظة في قتالهم المسلمين ... ووقعت في سهم جندى لا يعلم عنها شيئا إلا أنها أسيرة حرب ... فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحالها وخيرها بين أمرين ... اما أن يردها الى أهلها أو يعتقها ويتزوجها ، فاختار الله وأثرته على قومها وأسلمت ودخل بها مسلمة رضى الله عنها .

وتزوج « جويرية بنت الحارث » ... وكانت من سبايا غزوة « بنى المصطلق » ... فتزوجها بعد أن أعتقها ... فصارت من أمهات المسلمين بعد أن كانت أسيرة حرب لا يعلم مالها من أمرها شيئا ...

ثم حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاقتداء به ، فأطلقوا سباياهم ... فأسلموا ... وحسن إسلامهم فكانت خيرا وبركة على قومها جميعا .

وتمثل قصده الكريم في حياة أسرية متحابة متراحمة ... وكانت مثالا للأسرة المسلمة التى أرادها رسول الله صلى

الله عليه وسلم للمسلمين ، والتي اهتدى بها صحابته رضوان
الله عليهم فأقاموا بدورهم أسرا متوادة متألقة .

رحمة الله للعالمين وأهل بيته :

ان جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لتعبر أدق تعبير عن
رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته وذلك في حديثه الشريف
الذي قال فيه : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي» (١) .

لقد كان صلى الله عليه وسلم خير العالمين لأهله ، وهو
يعاونهم فيما يعملون ، ويرشدهم الى ما لا يعلمون ، ويغفر
لهم ما يجهلون ، ولا يحملهم ما لا يطيقون .

ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها : « ما كان النبي
يصنع في بيته ؟ » قالت : يكون في مهنة (**) أهله ، فاذا حضرت
الصلاة قام الى الصلاة » (٢) .

كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف من عمل في بيته ، وكان
يخيط ثوبه ، ويخسف نعله .

وكان رفيقا بأهله ، وكان يوصي أهله بالرفق بأنفسهم
وبمن حولهم .

(١) رواه أبو حبان . (**) بفتح الميم : راجع المختار .

(٢) رواه البخاري .

عن عائشة رضى الله عنها قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة ارفقى فان الله اذا اراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق » (٣) .

وكان الرفق سمة من سمات أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وروحا ملائكية سرت في تعاملهم وتعاطفهم .

وكانت الرحمة والمودة والألفة هي اللغة التي تتحدث بها أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد انسابت من موردها هينة لينة في مشاعر الأسرة ، فاستقت من رحمة الله للعالمين لما رآته أمامها نبعا فياضا بالرحمة ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما ، الا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ، الا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى » (٤) .

رحمة الله للعالمين وحادثة الافك :

ولم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته على اليسير من أمور الحياة ، بل انه كان يسع بقلبه الكبير الكثير من منغصاتنا .

(٣) رواه أحمد والبخاري . (٤) رواه مسلم .

لقد رأت العرب .. وأمة الاسلام زحمته بأهله لما
انطلقت ألسنة السوء تتهم أم المؤمنين رضى الله عنها مع
صفوان بن المعطل في عودتهما من غزوة بنى المصطلق .

ذلك أن أم المؤمنين تأخرت عن الركب وكان صفوان
ابن المعطل خلف الركب ، فعاد بها الى المدينة المنورة ، وابتلى
بيت النبوة بالقييل والقال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع ما يقال من أهل الافك والضلال على بيت طهره ربه
واصطفاه ولا يجرح مشاعر أهله ولو بنظرة جارحة .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمته التي
وسعت حماقات البشر حتى تنزلت الرحمات من السماء تبرىء
أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في قوله تعالى :

« ان الذين جاءوا بالافك عصابة منك ، لاتحسبوه سرا
لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ،
والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٥) .

وكانت حادثة الافك عظة وعبرة لأمة الاسلام ، وترجمة

صَادَقَةُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ :
« ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ » .

ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَحِمَ بِصَبْرِهِ
عَلَى أَقْوَالِ أَهْلِ الْإِفْكِ ، وَحُكْمَتِهِ فِي مُعَالَجَةِ أَمْرِهِ ، وَرَحْمَتِهِ بِأَهْلِهِ
الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يَقِيمُوا الدُّنْيَا لِقَالَةِ خَبِيثَةٍ يَطْلُقُهَا فَاسِقٌ ، يَرِيدُ
السُّوءَ لِلْأُسْرَةِ مُتْرَاحِمَةً

وَلَقَدْ امْتَزَجَتْ شِعَاعُهُ بِشِعَاعِ أَهْلِهِ ، وَصَارَ يَرَى بِنُورِ
بَصِيرَتِهِ ، وَنَقَاءِ سِرِّيَّتِهِ ، وَصَفَاءِ قَرِيبَتِهِ ، وَسَمُو نَفْسِهِ ،
وَرَقِيهِ الرُّوحِيِّ خُلُجَاتِ نَفُوسِهِمْ ، وَهَمْسَاتِ صُدُورِهِمْ ، فَيَتَأَلَّمُ
إِذَا تَأَلَّمُوا ، وَيَفْرَحُ إِذَا فَرَحُوا .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنِّي الْأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِ رَاضِيَةٍ ، وَإِذَا
كُنْتُ عَلَى غَضَبِي » فَقُلْتُ : مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ : « إِذَا كُنْتُ عَنِ رَاضِيَةٍ فَأَنْتَ تَقُولِينَ : لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ
وَإِذَا كُنْتُ عَلَى غَضَبِي . قُلْتُ : لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ .

قُلْتُ : أَجَلٌ . وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجَرَ إِلَّا اسْمَكَ » (٦) .

(٦) متفق عليه .

وصايا الشريفة للأسرة :

نالت الزوجة حظها من الرحمة ، وتعددت أحاديثه ،
ووصاياه ، وخطبه التي تناول فيها الزوجة وبين فيها للزوج
ضعفها ، ودعاه الى الرفق في معاملتها ، واضعا في اعتباره طبيعها ،
ورقة مشاعرها •

قال صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا ، فان
المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وان أعوج ما في الضلع أعلاه ،
فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا
بالنساء خيرا » (٧) •

وذكرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بطبعنا الذي لازمنا
منذ بدء الخليقة ، والذي نالت المرأة منها - بحكم جنسها - منه
الحظ الأكبر •

ذلك أن ابن آدم خطاء بطبعه ، والمرأة أكثر خطأ من
الرجل لذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الزوج ليضع
هذا النقص في اعتباره ان أخطأت زوجته ، ويذكر لها ما قدمته له
من طيب القول وصالح العمل •

(٧) متفق عليه •

وأوصاه بأن يزن أعمالها . . . ويضع في كفة ميزانها حسناتها وسجاياها الحميدة أن آثاره يوما ما تقيصة يأبها .

... عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك^(٨) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر ، أو قال : « غيره »^(٩) .

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الزوجة على زوجها ، وحدث بأن من أولى حقوقها النفقة عليها . . . وقيامه بشؤونها . . .

عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ . . قال « أن تطعمها إن طعمت . . . وتكسوها إذا اكتسيت . . . ولا تضرب الوجه . . . ولا تقبح . . . ولا تهجر إلا في البيت »^(١٠) . . .

... وللزوج حقه الذى بينته الأحاديث الشريفة . . هذا الحق الذى أن التزمت به الزوجة دخلت الجنة كما بشرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

(٩) رواه مسلم .

(٨) يبغض .

(١٠) رواه مسلم .

« إذا صلت المرأة خمسها ... وحصنت فرجها ...
وأطاعت بعلمها ... دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت » (١١) .

ثم كان هذا الحديث النبوى الشريف الذى بين فيه مقام الزوج .. والذى لا يعلوه مقام ... ولا تعلوه منزلة ، والذى ان التزمت به الزوجة كانت ريحانة حياته ... وسكينة نفسه ... وطمأنينة قلبه ... فلا تقع عينه ... ولا أذنه منها على قبيح يؤذى مشاعره ... ويعكر صفو حياته ...

هذا الحديث الشريف الذى وضعه الاسلام وساما على جبين المودة والألفة والطاعة والمحبة بين الزوج وزوجه ، والذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١٢) .

رحمة الله للعالمين واختيار الزوجة الصالحة :

ان الأسرة المتعاطفة المتراحمة المتألقة المتعاونة لبنة صالحة لصرح اجتماعى شامخ ، غايته الأولى سعادة البشر فى الدنيا والآخرة

(١١) رواد ابن حبان فى صحيحه .

(١٢) رواه الترمذى .

هذه الأسرة لم تكن لتلتقى الا على دعائم من الرضا والقبول والوفاق النفسى والروحى ... وعلى أسس تتفق وطبيعة البشر وتكوينهم الثقافى .. وعاداتهم .. وأخلاقهم ... ومطبقاتهم الاجتماعية وميولهم وأمزجتهم المختلفة .

... لذلك دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار المرأة التى نبني معها الخلية الأولى للمجتمع .. فان صلحت صلح المجتمع كله ، وان فسدت فسد المجتمع كله ...

ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الا على بينة من الأمر ... فأوصاهم باختيار الزوجة التى ترغب المراء نكاحها وبين لهم السبيل الى ذلك وقال : « اذا خطب أحدكم المراءة ، فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » ولأن ما يدعو الزوج الى نكاح المرأة يختلف من فرد الى آخر .. لاختلاف الميول والأفكار ..

ولأن الأرواح منها ما تأتلف ... ومنها ما تختلف ... لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه السبيل الى المفاضلة لحسبها لم يزد الله الا دناة ، واننى تدعو الرجل الى اختيار زوجته فقال : « ... تنكح المرأة لأربع لمالها ... ولحسبها ... ولجمالها ... ولدينها ... فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١٤) .

(١٣) رواه مسلم وابو داود ، والحاكم ، والبيهقى .

(١٤) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه .

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل
الى اختيار الزوجة ذات الدين الا لأسباب بينها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى حديث آخر ... وذكر فيه ... أن ما دون
الدين وهم زائل ... وظل غير وارف ... وفتنة وغواية وضلال ...
... فالمال وقد يفتن به الرجل ويختار به زوجة قد
يكون فيه الخسران المبين ... وقد يكون فيه الفساد والافساد
الخلقى ...

ذلك أن وظيفة المال فى الاسلام بينتها آيات الله البينات
... وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ... فهو أولا
وأخيرا مال الله ... ووسيلة لتحقيق غاية ... وليس غاية فى
ذاته ...

فان جعلنا الوسيلة غاية صارت وبالا ... وهلاكاً ...
وخساراً مبيناً ...

والجمال ... وقد يختار به الرجل زوجة قد تفتن به المرأة
عن زوجها ... وترد به موارد الرزيلة ان لم يكن مع الجمال
تربية وخلق ودين وضمير يقظ يصونه ويحميه ...
وهو مع هذا ظل زائل ... وعرض له أجل محدود يصير بعده
وكان لم يكن ...

لهذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء
العاقبة ان جعلنا المال أو الجمال غاية ... وقال : « لا تزوجوا
النساء لتحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ... ولا تزوجوهن

لأموالهن ففسي أموالهن أن تطفين ١٠٠. ولكن تزوجوهن على الدين ، والأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل » (١٥) .

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يهدينا الى خير السبل في اختيار الزوجة الصالحة انما يعنى صلاح الأسرة ، فالمجتمع . فالزوجة ذات الدين غرس لا يشمر الا خيرا ١٠٠. فهي تعامل زوجها وترعاه في حله وترحاله .. وتحفظه في عرضه وماله ، وتربي أولاده على البر والتقوى من منطلق الطاعة لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ..

ومن هذا شأنها تؤتي بفضل ربها ثمار اخلاصها بين وبنات يعرفون حق الله وحق الوالدين وحق المجتمع والانسانية ، ويسهمون في اعلاء كلمة الله في قولهم وفعلهم ١٠٠. ويلتزمون بما أمرهم به ربهم حتى يلقوه راضين مرضيين باذنه ومنه ١٠٠.

ان الزوجة الصالحة لهي المدرسة الأولى التي تستقبل هذه القلوب الخضراء .. وهذه الأرواح الطاهرة .

١٠٠. وهي التي تخط بقلبها الطاهر ١٠٠. وقولها الطيب ١٠٠. وسلوكها القويم أول كلمات تهدي الصغير الى طريق الهدى والصلاح ١٠٠.

وهي التي تزيد زوجها هدى ان رآته يترسم خطى نبيه ويلتزم بآيات ربه ١٠٠. وتقومه برقتها ١٠٠. وصفاء سريرتها ان اتبع هواه ١٠٠. وضل سعيه وأنسته دثياله أمر أخراه ١٠٠.

(*) رواه ابن ماجه .

لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اختيار الزوجة لعسبها أو لعزها في قومها سراب وهم وباطل ، وقال في حديثه ، « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلًا .. ومن تزوجها لعسبها لم يزد الله الا دناءة ومن تزوجها لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجة .. أو يصل رحمه .. يارك الله له فيها .. » وبارك لها فيه « (١٥) » .

رحمة الله للعالمين ومنزلة الزوجة في الاسلام :

لم تعد المرأة في الاسلام سلع تباع وتشترى بعد أن رد الله لها آدميتها وكرامتها بمبعث رحمة الله للعالمين . . . ولم يعد لوليها أن يفرض عليها زواجًا .. بعد أن بين لها رحمة الله للعالمين معقوفها ..

لذا كانت المرأة تسرع اليه ان أصابها من وليها ما يذهب بحريتها في اختيار زوجها .. وسرعان ما يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق لذويه .. ويبين للعالمين أن النساء لم يعدن عارا يلحق بالأسرة .. تلفظنها حية بزواجها .. أو ميتة بوأدها ..

.. بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ولي فرض على ابنته ابن أخيه .. فذهبت الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تشكو أباهما وتقول :

« ان أبى زوجنى ابن أخيه ليندفع بها خسيسته وأنا كارهة »

(١٥) رواء الطبرانى في الأوسط .

«... فقات لها : «... اجلسى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ... فأرسل الى أبيها فجعل الأمر اليها فقالت الفتاة :
 « يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى انما أردت أن أعلم
 الناس أن ليس الى الآباء فى الأمر شىء » (١٦) .

رحمة الله للعالمين والأولاد :

وتغشت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة كلها ، وكان
 لكل من أفرادها حظه من رحمته صلى الله عليه وسلم ..
 كان للأولاد حظهم من الرحمة التى من الله بها على عباده
 ... فقد أوصى بتعليمهم الصلاة منذ طفولتهم .. حتى تعم
 القلوب الطاهرة بالايمان ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا
 أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ... واضربوهم عليها
 وهم أبناء عشر ... وفرقوا بينهم فى المضاجع » (١٧) .

ذلك أن من آمن بربه وركع وسجد حامدا شاكرا فعماءه
 ... وصلى وصام ... صغيرا ... داوم على ايمانه ... ووصل
 والديه وبرهما كبيرا ... وانطلق فى حياته يسهم فى رخاء مجتمعه
 .. وتعهده بكل معانى الخير ... ويبدل فى سبيل المسلمين جهده
 وماله ... ولا يسكر وسعا فى العطاء لا يبتغى به الا وجه ربه .
 وتجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يوصى الصحابى

(١٦) رواه النسائى .

(١٧) رواه أبو داود .

سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بابنته .. لما جاءه في مكة
المكرمة يعوده .

وكان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يستشيره في القدر
الذى يوصى به لابنته بعد أن يلحق بالرفيق الأعلى .

.. عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : « جاءني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من
وجع اشتد بي فقلت : يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع
ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني الا ابنة أفتصدق بثلثي مالي ؟ ..
قال : لا .. قلت : فالشطر يا رسول الله ... قال : لا ..
قلت : فالثلث ... قال : الثلث .. والثلث كثير .. انك ان
تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ...
وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت بها حتى ما تجعل
في في امرأتك ... قال : قلت يا رسول الله .. أخلف بعد
أصحابي ؟ قال : انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله
الا ازددت درجة ورفعة ، ولعلك ان تخلف حتى ينتفع بك
أقوام .. ويضر بك آخرون .

اللهم امض لأصحابي هجرتهم .. ولا تردهم على
أعقابهم ... لكن البائس سعد بن خولة « (١٨) .
(يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة
المكرمة) .

(١٨) متفق عليه .

وحتى يشب الأولاد متحابين متآلفين ، أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الآباء أن يؤثر بعض الأبناء على اخوتهم ... وأوصى الصحابة رضوان الله عليهم أن يتقوا الله في أولادهم ويسووا بينهم في العطاء ...

... عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى نحت ابنى هذا غلاما كان لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك كلهم !؟ »

قال : لا . قال : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » . وكان صلى الله عليه وسلم يختار الأسماء الحسنة التى لا تنفر السامعين ولا تدعو الى السخرية ...

... وقد فعل ذلك مع حفيده الحسن اذ غير اسمه .. وقد سماه أبوه من قبل حربا .

... وأوصى المسلمين أن يختاروا الأبنائهم الأسماء الحسنة وقال : « تسنموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء الى الله عبد الله .. وعبد الرحمن .. وأصدقها حارث وهمام ... وأقبحها حرب ومرة » (١٩) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه وسلم نابضة بالحياة وهو يسرع الخطى الى ابنته فاطمة رضى الله عنها لما سمع بكاء الحسن رضى الله عنه وهو يقول : « ألم تعلمى أن بكاءه يؤذنى » .

(١٩) رواه أبو داود .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته أمام أعينهم وهو يستقي ولده الحسن من نبع رحمته ويقبله ، وعنده الأقرع بن حابس ... ويقول الأقرع :

« ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا » .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم » (٢٠) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه وسلم يوم أطل السجود ... فسألوه وقالوا : « لقد أطلت سجودك يا رسول الله » .

قال : « ان ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله » .
ثم رأوا بأعين رؤوسهم رحمته صلى الله عليه دموعا يذرفها على ولده ابراهيم وهو يجود بنفسه .

... عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه ... فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ... وأنت يا رسول الله ؟؟ ... فقال : ... يا ابن عوف انها رحمة ، ثم اتبعها بأخرى ... فقال صلى الله عليه وسلم : « ان العين تدمع ... والقلب يحزن ... ولا تقول الا ما يرضى ربنا ... وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » (٢١) .

(٢٠) متفق عليه . (٢١) رواه البخارى ومسلم .

ولقد كان ابتلاؤه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ...
 فالأسرة التي تنعم بصغارها ... وتشرق وجه الحياة ببراءة
 أبنائها ... قد تصاب في فلذات أكبادها ... وقد تمتد
 يد الموت تقطف زهرة يافعة .. أو شابا افتتن به من حوله
 وامتدت آمالها في غده .. عالما ... أو طبيبا ... أو مهندسا .
 ... وحينذاك لا تجد الأسرة الا هدى رسولها صلى الله
 عليه وسلم ... وصبره على ولده قدوة لها ... وهديثه الشريف
 تصطبّر به ... كلما حاول الشيطان أن يكيد ويمكر ... ويعيث
 في القلب فسادا .

... لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
 بالصبر إذا ابتلاهم ربهم في أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم وقال:
 » من يتصبر يصبره الله ... وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع
 من الصبر .. « (٢٢) .

وحتى يكون هذا الصبر عن بينة لما ادخره الله له .. بين
 للعبد الصابر جزاء صبره وقال :

» إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم
 ولد عبدي ؟ ... فيقولون : نعم ... فيقول : قبضتم ثمرة
 فؤاده ؟ ... فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدي ؟ ...
 فيقولون : حمدك واسترجع .. فيقول الله تعالى : ابنوا
 لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد « (٢٣) .

(٢٢) متفق عليه . (٢٣) رواه الترمذى .

ثم يبين صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن في البلاء
تكفيرا للذنوب ، وأن العبد لا يزال في بلاء حتى يلتقى ربه بلا
خطيئة . . . بعد أن طهره الله من ذنوبه بما ابتلاه به في دنياه .
... وفي هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم :

« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله
حتى يلتقى الله تعالى وما عليه خطيئة » (٢٤) .

وحتى يتدبر العبد المسلم بالصبر ويتقى به همزات
الشیطان يحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله لا يبتلى
الا من أحبه .

... وحب الله غاية العبد المسلم ، فإن أنعم الله بحبه
جزاء صبره فمن أطاعه في الدنيا من الله عليه بها !! ثم
استردها . . . فأنعم به من بلاء !!! ما دام رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشره بهذا الفوز العظيم في الحديث الشريف
الذي قال فيه :

« ان عظم الجزاء مع عظم البلاء . وان الله تعالى اذا أحب
قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » (٢٥)
ويوم يدرك العبد المسلم أنه باشتداد بلائه يزداد قربا من
ربه . . . تهون عليه الدنيا . . . بل تهون عليه نفسه التي بين
جنبيه يقدمها فداء بين يديه حتى تتحقق له هذه المرتبة السامية

(٢٤) رواه الترمذی .

(٢٥) رواه الترمذی وابن ماجه .

من الرضا والرضوان كما بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال :

« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل » (٢٦) .

رحمة الله للعالمين واليتيم :

ان هذه الرحمة الربانية التي وسعت الأبوين اذا فقدوا أحد الأبناء بعد أن كان يملأ الدار بهجة ... والقلب أنسا ... والنفس راحة لم تدع الصغير نهبا لغائلة الزمان اذا فقد أحد أبويه أو كلاهما ... بل أوصى بكفالته وبشر كافله بالجنة وقال : « أفا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالمسبابة والوسطى وفرج بينهما » (٢٧) .

وحسب اليتيم رحمة أن يكون أكرم الخلق منزلة عند الله يتيما ... وما زاده يتمه الا اقبالا على ربه ، فأواه وهداه ، وأوصاه باليتيم يشفق عليه ويرعاه ... قال تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى • فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (٢٨) .

رحمة الله للعالمين والوالدين :

ان رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير حتى يقوى ويستوى عوده لم تكن لتدع الكبير ساعة ضعفه ومرضه

(٢٦) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٢٧) رواه البخارى . (٢٨) الضحى : ٦ - ١١

وحاجته الى من يأخذ بيده فهو أولى بالرحمة
وأحق بها .

... لذا قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق
الوالدين بالشرك بالله ... والشرك ظلم للنفس كبير .

... والذنوب مهما عظمت يغفرها الله ان شاء الا الشرك
كما قال في كتابه الكريم ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٢٩) .

واقتران عقوق الوالدين بالشرك بالله دليل على أنه جرم
عظيم ... وكبيرة لا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأتباعه المسلمين .

... بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف
رواه سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال ... قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر
الكبائر ... قلنا : بلى يا رسول الله .. قال : الاشرار
بالله ... وعقوق الوالدين .. وكان متكئا فجلس فقال :
« ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا
ليته سكت » (٣٠) .

(٢٩) سورة النساء : ١١٦
(٣٠) رواه البخارى ومسلم .

وكما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين بالشرك بالله ... قرنت آيات الله البيّنات الأحسان إلى الوالدين بعبادة الله وحده فقال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ (٣١) .

وفي كل مقام يقتضى توجيه المسلمين إلى بر الوالدين تتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم بهما حتى وإنه أوصى من ترك والديه يبيكان وجاء يبايعه على الهجرة أن يعود إليهما ويحسن إليهما .

... عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ... جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت لأبايعك على الهجرة وترك أبوأي يبيكان .. فقال : « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » (٣٢) .

ثم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين قد يفضل الجهاد في سبيل الله إن دعا الأمر ذلك .

(٣٢) رواه أبو داود .

(٣١) الإسراء : ٢٣

... عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما
قال ... جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في
الجهاد ... فقال : أحى والدك ؟ ... قال : نعم ... قال :
ففيهما فجاهد (٣٣) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماثلة أمام أعينهم ، فأيقنوا أن عقوق
الوالدين يأخذ بيد العاق الى النار ... وأن رضاها وشفاعتها
فيه الرضا .. والمغفرة .. والرحمة من الله .

روى الطبراني وأحمد عن عبد الله بن أبي أوفى رضى
الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت
فقال : شاب يجود بنفسه ... فقبل له : قل لا اله الا الله
فلم يستطع ... فقال صلى الله عليه وسلم : كان يصلى ؟ ...
فقال : نعم ... فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
ونهضنا معه ... فدخل على الشاب فقال : قل لا اله الا الله ...
فقال : لا أستطيع ... قال : لم ؟ ... قالوا : كان يعق والدته ..
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحية أمه ؟ ... قالوا :
نعم ... قال : ادعوها .. فدعوها .. فجاءت .. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : هذا ابنك ؟ .. قالت : نعم ، فقال
لها : أرايت لو أججت نارا ضخمة فقبل لك : ان شفعت له

خلينا عنه ... والا حرقناه بهذه النار ... أكنت تشفعين له ؟ ... قالت : يا رسول الله .. اذن أشفع ... قال : فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيتى عنه .. قالت : اللهم انى أشهدك ... وأشهد رسولك انى قد رضيت عن ابنى ... فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام ... قل لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله فقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى أنقذه من النار ... (٣٤) .

وبر الوالدين دائم ومتصل ... والصلة بهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى لها سبل عديدة بينها الأحاديث الشريفة .

... وكما أن اكرامهما فى حياتهما رحمة من الله ...
ونعيم مقيم ...

كذلك اكرامهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى ... رضا من الله وفوز كبير ..

... عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال :

(٣٤) رواه الطبرانى .

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله هل بقي
 من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : نعم
 الصلاة عليهما .. والاستغفار لهما وافقاهما من
 بعدهما وصلة الرحم التي لا تصل الا بهما واكرام
 صديقهما » (٣٥) .

وبفضل الله وكرمه ورحمته بعباده يصل هذا البر الى
 ابوالدين وهما بجوار رحمة ويرفع الله بدعاء ولدهما
 درجاتهما في الجنة ، كما أخبرنا بهذه المنة وهذا الاحسان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله يرفع الدرجة للعبد
 الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لى هذا ؟ فيقول :
 باستغفار ولدك (٣٦) .

رحمة الله للعالمين والموالى والخدم :

أما رحمته صلى الله عليه وسلم بالموالى والخدم فحسبنا
 دليلا على معاملته السامية ما ذكره أنس بن مالك رضى الله
 عنه ، والذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
 وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له عن شيء فعله
 لم فعلته ؟ وعن شيء لم يفعله : لم لم تفعله ؟

(٣٥) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم .

(٣٦) رواه أحمد .

كان صلى الله عليه وسلم رفيقا بخدمة ... وكان يوصي
أتباعه بالزفق ويدعو السيد أن يعامل خادمه بأخوة
الاسلام ... يطعمه مما يطعم .. ويلبسه مما يلبس .. ولا يحمله
بألا يطيق ...

... عن المعروف بن سويد قال : « ... رأيت أبا ذر رضى
الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها ... فسأته عن ذلك ..
فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغيره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

انك امرؤ فيك جاهلية ... هم اخوانكم وخولكم ...
جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده ...
فليطعمه مما يأكل .. ويلبسه مما يلبس .. ولا تكلفوهم ما يغلبهم ..
فان كلفتموهم فأعينوهم » (٣٧) .

أما الرقيق فقد جنوا ثمار رفقته بهم ... واطمأنوا الى عدالة
السما لما شعروا بتكريم الاسلام اياهم ... هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو المالك أن لا يرفع على العبد سوطا ، ويذكره
بأن قدرته على ماله محدودة ... وقدرة الله عليه لا حدود
لها ...

(٣٧) متفق عليه .

عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : « اعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » • فقلت : لا أضرب مملوكا بعصاه أبدا (٣٨) •

ان هذه الوصية الرجيمة كانت عن مملوك أتى حدا ، أما ذلك الذى لم يأت حدا واعتدى عليه مالكة ظلما وعدوانا • • فكفارة عدوانه أن يعتقه كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من ضرب غلاما له حدا لم يأتقه أو لطمه فان كفرته أن يعتقه » (٣٩) •

أما الاماء فكن أولى بالرحمة من العبيد ، لأنهن ضعيفات بطبعهن ، وأمرهن فى يد مالك رقابهن ، والرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعثه الله رحمة للعالمين ، للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان •

لذلك أوصى بالاحسان اليهن ، وتعليمهن ، وتأديبهن ، وبشر المالك بضعفين من الأجر ان فعل بأمرته ما أوصاه به فى حديثه ، ثم تزوجها وقال :

(٣٩) رواه مسلم •

(٣٨) رواه مسلم •

« ثلاثة لهم أجران • رجل من أهل الكتاب آمن بنيه ،
وآمن بمحمد • والعبد المملوك إذا رأى حق الله وحق مواليه •
ورجل كانت له أمة فأدبها ، فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن
تعليمها • ثم أعنتها فزوجها ، فله أجران » (٤٠) •

وكانت رحمته تجسيما لنظرة الاسلام للرق الذي ضيق
أسبابه ، وفتح أبواب العتق على مصراعيها • وحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكاد يضع أيدينا على هذه الحقيقة
حيث قال :

« لقد أوصاني جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت
أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » •

ولقد أظلت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة لما أوصاها
بصلة الرحم وقال :

« الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعته الله » (٤١) •

ان الذي يصل رحمه يصل معاني الخير ، وفضائل
الأعمال ، ومكارم الأخلاق •

(٤٠) متفق عليه .

(٤١) رواه البخاري ومسلم .

فهو في صلته لرحمه يبر والديه كما بين له ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ••• يبرهما وهما في جوار ربهما
بصلته لذوى الرحم التي لا توصل الا بهما •

وهو في صلته برحمه يهتدى ببادئ الاسلام السامية
التي جعلت المؤمن مع أخيه المؤمن أعضاء في جسد واحد •
وهو في صلته برحمه يدعم بناء الأمة الاسلامية التي تحمل
مشاعل النور تهدى بها الناس الى صراط الله المستقيم •

وهو في صلته برحمه يشارك أهله في السراء والضراء
ويجود عليهم بما يمن الله عليه من فضل •

وواصل الرحم ينعم بما من الله عليه من فضل في الآخرة
والأولى ، ويهنأ بالبركة تعم داره وعمره ورزقه كما بشره بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ،
فليصل رحمه » (٤٢) •

ولأن النفس البشرية لا تقبل على العمل الا ان وجدت
مرتعا خصبا •

(٤٢) متفق عليه •

وحتى يقبل المسلم على صلته برحمه دون أن يأبه لنفس مريضة تنكر عمله الصالح .

وكي لا تشعر النفس بأسى ان قاطعه أهله وهو يصلهم ، وأساءوا اليه وهو يحسن اليهم ، أو صانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نمضى في صلاتنا بالرحم وان جار علينا الأهل .

*** عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال :
« يا رسول الله انى لى قرابة أصلهم ويقطعونى : وأحسن اليهم ويسئون الى وأحلم عنهم ويجهلون على .

فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (٤٣) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » (٤٤) .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأتباعه ، يقتدون به فى صلته لرحمه *** فقد وصلهم فى حياتهم .. ولم يقطع صلته بهم بعد مماتهم *** ولا أدل على ذلك من ذكره خديجة رضى الله عنها بعد موتها ، حتى وانه كان يذبح الشاة ويبعث منها الى أصدقاء خديجة رضى الله عنها كما تروى ذلك عائشة رضى الله عنها .

(٤٣) الرماد الحار .

(٤٤) رواه مسلم .

ولم تقتصر صلته صلى الله عليه وسلم على من حوله من
أقربائه بل امتدت صلته بهم في أعماق الزمان حتى انه أوصى
بنو مصر رحمه من أهل مصر وقال :

«... ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط (٤٥)
فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » *

رحمة الله للعالمين والجار :

وتسع رحمته صلى الله عليه وسلم الجار كما وسعت ذوى
الرحم ... فيدعو الأسرة أن تحفظ حق الجار في صحته ومرضه ،
وفي قوته وضعفه ، وفي غناه وفقره ، وأن تحرص على معاوئته
وتتجنب أذاه ، وأن تحفظه في زوجه وماله وولده ، وأن
لا تؤذيه في مشاعره ، لأن الجار أقرب الناس اليه في السراء
والضراء ... يبذل لدفع الضر عنه ما يملكه من جهد *

... لذا أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان
عن يؤذى جاره ، وقال : « والله لا يؤمن ... والله لا يؤمن ..
قيل : من يا رسول الله ؟ .. قال : الذى لا يأمن جاره
بوائقه » (٤٦) *

(٤٥) جزء من الدينار والدرهم كان يتعامل به أهل مصر .
(٤٦) متفق عليه .

فالإيمان بالله آمن وأمان ... ومعاملة كريمة للناس تعكس
آمن النفس وطمأنينة القلب .

... ومن يؤذ جاره فقد لفظ الإيمان من قلبه .

وحتى تأتلف الأرواح ، وتتألف النفوس أوصى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العبد المسلم بأن يتعهد جاره ، ويطعمه
بما من الله عليه من فضل ، وأوصى أباً ذر الغفارى رضى الله
بذلك وقال : « يا أباً ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد
جيرانك » (٤٧) .

ذلك لأن للجار منزلة ومكانة عند الأسرة التى يجاورها ،
وله حقوق لا تقل عن حقوق أفرادها ، كما بين ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه » (٤٨) .

حقاً يا رسول الله ... ان للجار مكانة ومنزلة عند جاره ،
وله حقاً بينته فى حديثك الشريف حتى كاد أن يرث مع أفراد
الأسرة .

(٤٨) متفق عليه .

(٤٧) رواه مسلم .

حقا يا رسول الله * فان أخوة الدين ارتقت أو كادت أن
ترتقى إلى أخوة النسب فيما شرعه الله من حقوق *

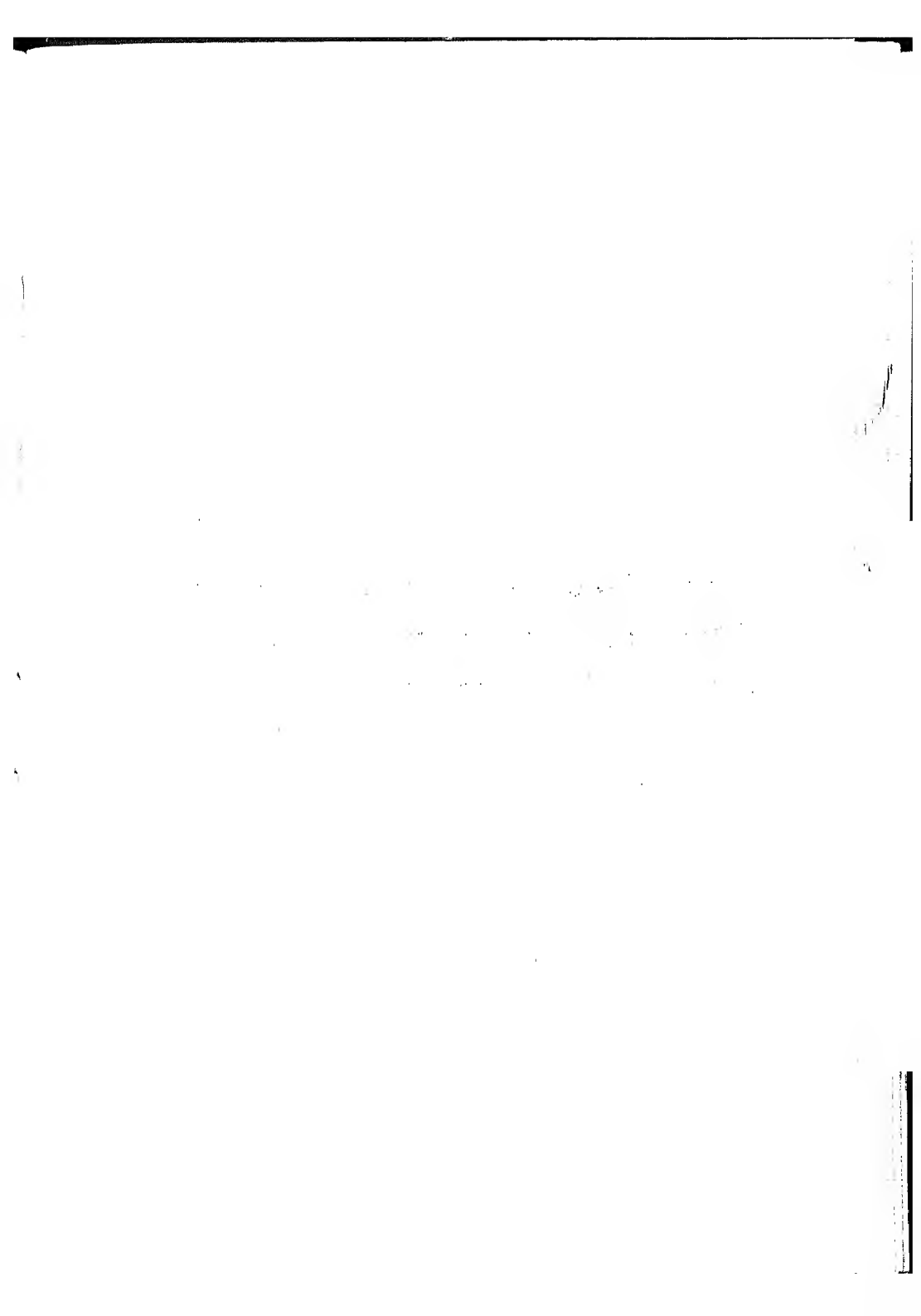
حقا يا رسول الله * فيما رحمة من الله الرحمن الرحيم
رحمت الأسرة زوجا وزوجة ، فتأخت بنين وبنات ، وتلاحمت
موالي وخداما ، وتعاونت رحما وجارا ، فكانت بمنة الله خير أسرة
في خير أمة *

* * *

قال تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » •

سورة آل عمران (آية : ١٠٣)



المجتمع العربي المسلم

رحمة الله للعالمين والعرب :

توافرت للعرب بعد الاسلام كل مقومات الأمة المتحضرة ، فانطلقت ترتاد شتى مجالات العلوم والمعرفة ، وتنهل من منابع النور والحكمة ، وتسهم في اعلاء شأن الانسان من منطلق العبودية لله وحده ، بعد أن تحررت من كل قيد يعوق انطلاقها الى دنيا المثل العليا ، والقيم النبيلة ، والأخلاق السامية ، والتعاون المثمر الذي جاءت به مبادئ الاسلام السامية .

وتحقق هذا التحول المعجز بفضل رسالة السماء ، وجهاد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم . بعد أن رأت العرب الرحمة الربانية في نبينا قولاً ، وفعلًا ، وسلوكًا ، ومعاملةً ، وخلقًا ، ظاهرًا ، وباطنًا .

رأتها العرب فاقتدت به واهتدت وصارت بفضل ربها نورا يشرق في الآفاق بعد أن كانت نارا تحرق الأصدقاء والأعداء . ووسعت أخلاقه صلى الله عليه وسلم الشتات من القبائل ، والأجناس ، والفئات الاجتماعية المتفاوتة ، فصارت بنعمة الله مجتمعًا متجانسًا ، بينت آيات الله تألفة الروحي ، وتعاطفه الانساني في قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (١) .

ورأت العرب سمو نبيهم الوجداني ، وسموه الروحاني في تواضعه الذي عبر عنه أنس بن مالك رضى الله عنه وقال :
« ... أن كانت الأمة من إمام المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فتنتطق به حيث شاءت » (٢) .

... ثم أراهم الرحمة وهو يهدى النفوس الى العبادة التي يرضاها ربنا ... فأبى عليها أن تتبع سنن من قبلهم ... فيقدسونه كما قدسوا أنبياءهم ... وينتهون الى حيث انتهوا فيعبدونه من دون الله ...

لذا كان يحذرهم من القيام له تعظيما ويقول :
« ... لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا ... »
... (٣) .

وكان يدعوهم الى معاملته كبشر أوحى اليه برسالته ... ويوصيهم بأن ينزلوه حيث أنزله الله ...

(٢) رواه البخاري .

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) أخرجه أبو داود .

عن أنس رضى الله عنه قال : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا ما أقول لكم ... ولا يستهوينكم الشيطان .. أنزلونى حيث أنزلى الله ... أنا عبد الله ورسوله » (٤) .

وكان ينذره من اتخاذ قبره مسجدا يعبدون فيه ربهم كما فعلت اليهود والنصارى من قبل حتى لا يتسلل الشرك الى نفوسهم ويوردهم موارد الهلاك كما فعل بسابقهم .

واطمأنت قلوبهم ، وهدأت نفوسهم ، وأيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبع بما يدعوه اليه جاهها ولا سلطانا وحسبهم أحاديثه التى دعته الى عبادة الله وحده حيث قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تفعلوا وكررها ثلاثا (٥) .

وحتى يقطع على الشيطان سبيله قال صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا قبرى عيدا وصالوا على حيثما كنتم ، فان صلاتكم تباعنى » .

وبهذا الحديث الشريف أغلق أبواب الغواية ، وسد عليه

(٤) أخرجه أحمد عن أنس . (٥) رواه مسلم .

سبل الضلال حتى لا يتخذ أتباعه قبره مسجدا بحجة ظاهرها
الرحمة وباطنها العذاب •

مجتمع الحب فى الله :

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعا متحابا
فى الله بعد أن اقتلع من النفوس همسات الحقد ، ونزغات
البغض ووساوس الكراهية ، وبعد أن أَلَفَ القلوب وهداها الى
خالقها ، فانشغلت بحمده ، وتسبيحه ، والثناء عليه ، وتمجيده ،
وبعد أن شفى النفوس من أمراضها التى مزقتها من قبل اربا ، كما
صور ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف
وقال :

« دب اليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، والبغضاء
هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذى
نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى
تحابوا ، ألا أبئثكم بما ثبت ذلك افشوا السلام بينكم » (٦) •

وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث
الشريف الايمان بأسمى عاطفة لينالوا به أنبل غاية يوم اللقاء •••

(٦) رواه البزار •

هذه الغاية التي يجاهد العبد المؤمن لها نفسه . . . ويقوم
للفوز بها ليله . . . ويصوم لها نهاره . . .

هذه الغاية . . . طريقها الايمان . . . والايمان طريقه الحب
في الله . . . كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في
أحاديثه الشريفة والتي ربط بها قلوب أصحابه رضوان الله عليهم . .
برباط الحب . . . وبين لهم فيها مقام المتحابين عند ربهم . . .
ومدى ما ينعمون به من أمن وأمان يوم لقائه وقال : « ان من
عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء . .
قيل : من هم لعنا تحبهم . . . قال : هم قوم تحابوا بنور الله في
غير أرحام . . . ولا أنساب . . . وجوههم نور . . على منابر
من نور . . . لا يخافون اذا خاف الناس . . . ولا يحزنون اذا
حزن الناس . . . ثم قرأ : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » (٧) .

وكيف يحزن المتحابون في الله وقد رضى الله عنهم ورضوا
عنه . . .

وكيف يخافون وقد خافوا ربهم في دنياهم فأمنهم في
آخراهم . . .

وكيف يفرعون وقد أثمر خوفهم من ربهم الأمن في أنفسهم
فتحابوا . . . فأظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل الا ظله . . .
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . . قال رسول الله صلى

(٧) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين
المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلمهم بظلي يوم لا ظل الا ظلي » (٨)
..... لقد أظلمهم ربهم بظله يوم لقائه ، لأنهم أحبوا بعضهم
بعضاً في الله ومن أحبه مولاه تولااه .. وأنعم عليه برضاه ..
..... وجعل الجنة متقلبة ومشواه

السلام سمة المتحابين في الله :

ان المجتمع العربي المسلم الذي تقياً في ظل رحمة الله
للعالمين وانطلق يعلى كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها انما
استقى قيمه الاجتماعية .. ومثله العليا من نبع الحب في الله
كما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان التعاون
والتكافل الاجتماعي والمعاملة الانسانية والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر والجهاد في سبيل الله

كان هذا كله وغيره من معاني الخير والبر والتقوى يفيض
من هذا النبع الملائكي الطاهر .. نبع الحب والمودة والألفة
لكن كيف تحاب الصحابة رضوان الله عليهم في الله
وما السبيل الى هذا الفيض الرباني الذي به تحقق ما يشبهه
المعجزات في فترة قصيرة من الزمان ؟!

تحاب الصحابة رضوان الله عليهم في الله لما أحبوا الله
ورسوله وآثروهما على أنفسهم وأموالهم وافتدوا هذا

(٨) رواه مسلم ..

الحب بأرواحهم • هاجروا وقاتلوا واستشهدوا في سبيل اعلاء
كلمة الله وهدى رسوله

ومن هذا المنطق تألفت الأرواح ... واثلت القلوب
واطمأنت النفوس ... وصارت الجماعة وكأنها نفس واحدة
تتردد في أجساد متعددة ...

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم الى الحب
في الله • والذي به يتحقق الايمان • وقال صلى الله عليه
وسلم : « والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا ... ألا أدلكم على شيء اذا فعلتوه تحاببتم
• افشوا السلام بينكم » (٩) •

فالسلم يوحى بالأمن والأمان • وينطلق من نفس آمنة
مطمئنة بحب الله وبحب رسوله ... وينعكس تألفا مودة وبراً
وتعاوناً في علاقات الناس ...

والسلام اسم من أسماء الله وضعه على الأرض • ومن
أفشاء ذكر الناس باسم من أسمائه • وكان له عليهم هذا
الفضل : ... كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : « السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه على الأرض
فأفشوه بينكم ... فان الرجل اذا مر بقوم فسلم عليهم ...
فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم السلام
فان لم يردوا عليه رد من هو خير منهم » (١٠) •

(١٠) رواه البزار والطبراني .

(٩) رواه مسلم .

والسلام تحية الملائكة لأهل السلام ••••• تزفهم به الى دار السلام ••••• تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ (١١) •

وبالسلام يتطهر العبد المؤمن من ذنوبه وتتناثر خطاياهم كما يتناثر ورق الشجر ، كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ان المؤمن اذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر » (١٢) •

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتباعه بإفشاء السلام فى كل لحظة وحين ، فامتلأوا لهذا الأمر حتى صار السلام سمة من سمات العبد المؤمن ، ولازمة لا تفارقه ، وعنصر من عناصر شخصيته ••••• ان أغفلها أغفل سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وهديا من هديه •

لذلك التزم الصحابة رضوان الله عليهم بأحاديثه التى دعاهم بها حيث قال :

« اذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فان حالت بينهما شجرة ، أو جدار ، أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه » (١٣) •

وإفشاء السلام يعنى فى المقام الأول السلام النفسى الذى يعبر عنه المسلم بكلمات التحية التى أمرنا الله ورسوله بها •

• (١٢) رواه الطبرانى

• (١١) الزمر : ٧٣

• (٣٣) رواه أبوداود

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقى كل وهم باطل يعكر صفو السلام النفسى ولو حتى بطن قد يدع للشيطان سبيلا يوغر به النفوس ***

وقد روت أم المؤمنين صفية بنت حبي رضى الله عنها ما يبين ذلك وقالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفا فى المسجد فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم عدت لأتقلب ، فقام معى ليقلبني ، — وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد — فمر رجلا من الأنصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلكما » ، انها صفية بنت حبي . . فقالا : سبحان الله يا رسول الله « . فقال : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم واتى خشيت أن يقذف فى قلوبكما سرا أو قال شيئا » (١٤) .

ان العبد المسلم يعيش بين اخوانه وسلامه النفسى يسرى الى مشاعرهم أمنا وأمانا ، ومودة وحنانا .
ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدهم الى هذا السمو النفسى ، ودعاهم أن يحرصوا كل الحرص على مشاعر بعضهم البعض .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر حديثه الشريف الذى حذر فيه اثنين يتناجيان دون ثالث يجلس معهما ودعاهما ألا يفعلا ذلك حتى لا يظن الثالث ظن السوء ، وحتى لا تحدثه نفسه بأن نجواهما

(١٤) متفق عليه .

كانت عليه ، فيحمل في نفسه ، ويتعبد عن أخيه دون ذنب جناه ،
ويتفرقا بهذا الحاجز النفسى الذى نهانا عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال : « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون
الآخر حتى تختلطوا بالناس ، فان ذلك يحزنه » (١٥) .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ألف برحمته
القلوب ، ما كان له أن يدع سبيلا للنفس الأمارة بالسوء
أن توغر الصدور .

حقا ما كان له أن يفعل ذلك ورسالته السمحاء تدعو الى
الألفة والتزام الجماعة ، ووصاياها كلها تمهد للمسلمين سبل
الحياة المتحابة المتعاونة ، حتى وانه كان يمنع أكل الثوم أو
البصل من الصلاة مع جماعة المسلمين ، حتى لا تتسلل الجفوة اليهم
ويقول : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل
مسجدنا » (١٦) .

وجدير بمن رباه رسول الرحمة على هذا المستوى الراقى
من السمو الوجدانى ، والصفاء النفسى أن تسمو مشاعره ،
وأقواله ، وأفعاله ، فلا يقول الا حقا ، ولا يعمل الا خيرا .
آثار الحب فى الله :

واهتدى الصحابة رضوان الله عليهم بهدى نبهم ، فتحابوا
فى الله ، وتآلت القلوب بأسمى عاطفة ، وأثمرت هذه العاطفة
النبيلة تعاوننا ، وعملا صالحا ، وقولا لينا .

(١٥) متفق عليه ، ورواه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه .

(١٦) متفق عليه .

وصار الصحابة يحزنون لما يصيب أحدهم من ضر ،
ويفزعون من البلاء نزل بساحة أحدهم ، فلا يعطيب لهم عيش ،
ولا يهنأ لهم بال ، ولا يهدأ خاطر ما دام أخ لهم في هم ، أو غم ،
أو نصب ، أو ضائقة تعكر صفو حياته •

وذلك لأن رحمة الله للعالمين بمشاعره ، وبأقواله ، وبأفعاله ،
وبصدقه ، ونقاء سريرته ، ووصاياهم ، وأحاديثه ، صهر هذه
النفوس في بوتقة الايمان ، فصارت وكأنها نفس واحدة ، وألف
الأرواح الشاردة حتى صارت روحا تتردد في أجساد عديدة ،
ووحيد الوسيلة ، والغاية ••••• فصارت الأفكار متسقة ببناءة ،
والقدرات متكاملة خلافة مبدعة •

وصار القوى يدخر قوته ليسد بها ضعف أخيه ، وأصبح
مال الغنى سندا لحاجة الفقير ، وباتت شجاعة الفارس ومهارته
درعا تقى المستضعفين في الأرض ، فأصبحوا بفضل رحمة الله
للعالمين صرحا شاهقا يكمل بعضهم بعضا ، وتحقق فيهم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « مثل المسلمين في
توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١٧) •

لقد رباهم رحمة الله للعالمين على الحب ، وعلمهم أن
الايمان يعنى النية الصادقة ، الخالصة لوجه الله ، والمخلصة
لاخوانها ، وأرشدتهم بأن الايمان بالرحمن ، الرحيم ، الكريم ،

(١٧) متفق عليه .

الودود يعنى الرحمة والمودة لكل مسلم ، وأن من لم يفعل ذلك
نقص ايمانه ، وحاد عن هدى نبيه الذى جعل الايمان مشاركة
بالمشاعر ، والأقوال ، والأموال ، وبذل ما يملكه العبد المسلم
من قدرات فى سبيل أخيه ان دعاه الأمر لذلك .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الايمان
فى الحديث الشريف وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الأخيه
ما يجب لنفسه » (١٨) .

والحب فى الله الذى يكتمل به ايمان المؤمن يتمثل فى كماله
الانسانى . فايما نه بالله وباليوم الآخر يعنى كفه أذاه عن جاره ،
واكرامه لضيفه ، وكفه لسانه عن الشر كما حدثنا بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو
ليسكت » (١٩) .

والسلام النفسى الذى تعهده رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعنى أمن الانسان وأمانه حيث كان .

والمسلم أولى الناس بهذا الأمن ، وهذا الأمان .
وما كان للأمن أن يظل أمة الاسلام لولا أن النفوس قد
تخلصت من نقائصها فلا تضمّر شرا ، والا لأن الألسنة قد
تظهرت من الفحش والبذاءة فلا تنطق الا خيرا ، ولأن الجوارح
قد أسلمت لربها فلا تمتد الا تعاونا وبراً .

(١٨) متفق عليه .

(١٩) متفق عليه .

فالمسلم قد أسلم كيانه كله لربه ، كما هداه اليه رسوله
صلى الله عليه وسلم وقال : « المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده » (٢٠) .

ولا يعنى اسلام الانسان لربه الاكتفاء بكف الأذى عن
أخيه المسلم ، بل يعنى الاسراع اليه ان أملت به ملامة ، ومشاركته
مشاعره ان أصابته حسنة .

وهو فيما يفعل انما يبتغى أجره من ربه ، لأن من استعان
لم يستعن الا بمولاه ، وكلاهما (المعين والمستعين) يستشرفان
الثواب والرحمة من رب العالمين .

ولو تدبرنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمنا
أن المسلمين — من أعطى ومن أخذ — لا يقصدون الا ربهم ، فالمعطى
يعطى لله ، والمستعين والمستجير والسائل انما يستجير ويستعين
ويسأل ربه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن
استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى اليكم معروفًا فكافئوه ، فان لم
تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » (٢١) .

والعبد المسلم يلتزم بما أوصاه به رسوله صلى الله عليه
وسلم نحو أخيه .

وهو فى التزامه لا يفرق بين جنس وجنس ، ولون ولون ،
وسيد ومسود ، وغنى وفقير .

(٢٠) متفق عليه .

(٢١) رواه أبو داود والنسائي واللفظ له .

ان التزامه تضامن روحى ينتظم الأمة الاسلامية أينما كانت ، وحيشما كانت ، حتى يفيض على أمة الاسلام هذا النبع الطاهر ، ويزداد به المسلمون ألفة ومودة وتراحما وتعاوناً ، وهم يقومون بأداء ما عليهم من حقوق حدثهم بها رسولهم صلى الله عليه وسلم وقال : « حق المسلم على المسلم خمس .. رد السلام .. وعيادة المريض ... واتباع الجنائز .. واجابة الدعوة .. وتشميت العاطس » (٢٢) .

والحب فى الله ينعكس على معاملة المحب لله لأخيه وتبدو آثاره فى أقواله ... وفى أفعاله .. يشارك أخاه فى سرائه ... وفى ضرائه .. وفى يسره .. وفى عسره .. فالمحب صادق الوعد ... وفى العهد ... عف اللسان ... رقيق القلب
وحبه لأخيه يؤتى أكله باذن ربه تعاوناً وتآلفاً وبراً ورحمة ...

أما من يفعل غير ذلك فقد أفقر قلبه من الحب ... وخرج بسوء فعالة من جماعة المؤمنين
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل وهو يحاور رجلاً يبيع طعاماً ... فأعجبه وأدخل يده فرأى بلالاً فقال :
ما هذا يا صاحب الطعام ؟ ...
قال : أصابته السماء ...

(٢٢) رواه البخارى ومسلم .

فقال : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ..
من غشنا فليس منا (٢٣) » .

ولعلنا لى تدبرنا فى قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون .
الذى هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون .
والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا
على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
 وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم للأماناتهم وعهدهم
 راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (٢٤) لعلنا أن
الايمان بالله لا يكتمل بنيانه باقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة ان لم تنه شعائر الدين وأركانها المؤمن عن اللغو
والزنا ، وتلزمه بأداء الأمانة والوفاء بالعهد وان لم يقوم الايمان
سلوكه فى المجتمع ، وان لم يعبر بمعاملته للناس عن ايمانه بالله
وبرسوله واليوم الآخر ...

مجتمع البر والتقوى :

وحتى تصفو النفس من الهوى ، وتسموا الى أعلى درجات
الكمال الانسانى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى،
وبين لنا مغزاها ، وعددت لنا آيات الله البينات صفات
المتقين وجزاءهم فى دنياهم وآخرهم .
لذا اكتملت لأمة الاسلام مقومات الرقى النفسى فسادوا من

(٢٤) المؤمنون : ١ - ١١ .

(٢٣) رواه مسلم .

حولهم من الأمم ... وما تحقق للمسلمين ذلك الا لأنهم اقتدوا
بسيد المتقين الذى هداهم الى تقوى الله فى كل قول وعمل ،
وكل غاية وهدف ، فكان بحق مجتمع البر والتقوى •
كانت التقوى منطلق حياتهم ، ومعقد آمالهم • وكانوا
يتقون ربهم فى معاملاتهم ، وفى أعمالهم ، وفى عباداتهم •
وقد بينت لهم آيات الله الوسيلة لتحقيق هذه الغاية
السامية ، وبشرتهم بالجزاء الذى ينتظر المتقين يوم لقاء ربهم •
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم بالتقوى ،
ويربهم فى نفسه التقوى سلوكا ، ومعاملة ، وقولا ، وفعلًا ،
وعبادة ، وإخلاصا ، وصدقا •

واجتنب المسلمون ما حرمه عليهم ربهم ، والتزموا بما فرضه
عليهم ، وراقبوه فى السر والعلن ، وكانوا لا يرون فى أنفسهم
أحدا سواه ، ويتوقون الى لقاءه ، كما وصفهم على بن
أبى طالب « كرم الله وجهه » وقال : « نزلت أنفسهم فى البلاء ،
كما نزلت فى الرخاء ، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر
أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى ربهم ، عظم الخالق
فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم » •

ولعل خير دليل لشديد شوقهم الى لقاء ربهم انما هى
آيات الله تصور لنا حال العاجزين عن الغزو لضيق يدهم ،
وهم يهردون الى ديارهم وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا
ما لا ينفقون •

لقد اتقت العرب بعد اسلامها ربها ، وعظم مقامه في
أنفسهم ، حتى وأن الصحابة رضوان الله عليهم ، كانت ترتعد
فرائضهم اذا قرءوا أو سمعوا آيات العذاب .
ولعل ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ...
— وهو أحد المبشرين بالجنة — لعل ما فعله دليلا على تقوى
المجتمع العربي بعد اسلامه

... لقد كان يقرأ يوما ما في كتاب الله قوله تعالى :
﴿ اذا الشمس كورت ﴾ ... حتى اذا بلغ قوله ﴿ واذا الصحف
نشرت ﴾ ... خر مغشيا عليه ...
... ولقد هام سلمان الفارسي على وجهه ثلاثة أيام ..
هلعا وخوفا من يوم الحساب ، لما نزل قوله تعالى :
﴿ وان جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ .

وكانوا مع شديد تقواهم ... يظنون بأنفسهم
الظنون ... ويستقلون ما يعملون .. وكأنما كان يعينهم على
ابن أبي طالب رضي الله عنه ويقول :
« لا لا يرضون من أعمالهم بالقليل ... ولا يستكثرون
الكثير ... فهم لأنفسهم متهمون ... ومن أعمالهم
مشفقون .. اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول :
« أنا أعلم بنفسي من غيري .. » وربي أعلم بنفسي مني ...
اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ... واجعلني أفضل مما
يظنون .. واغفر لي ما لا يعلمون » .

ولو تدبرنا آيات الله لعلمنا أن الشهادة كانت أعذب
منها ، في متقلبهم ومشواهم .

قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم الله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾ ولا على الذين
إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴿ (٢٥) .

ورأى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب
الله أخرهم ، فالتزموا به في دنياهم .

ذلك أنهم وهو يتلون آيات الله تصف الجنة كانوا يكادون
يشمون ريحها ، ويرون قصورها ، وأنهارها ، وولداتها ،
وحورها ، وكانوا يكادون يرون النار وهم يتلون آيات الله
تصور جهنم وتكاد أرواحهم أن تصطلي بنارها ، فكانوا كما
وصفهم على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال :

« أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن
ترتيلا ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ، ركنوا إليها طمعا ، وتطلعت
أنفسهم ، حتى إن الصحابة رضوان الله عليهم كانت ترتعد فرائصهم
إليها بمسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول
أذانهم ، فهم جاثون على ركبهم ، يطلبون من الله فكاه
رقابهم » .

وفي اتهام أنفسهم بالتقصير في عبادة الله والقول الطيب ...
 والعمل الصالح قمة التقوى وذروتها ...
 ذلك الآن من يرى نفسه أهلا لصفة ما ... فقد كاد أن
 يضيع ما أنعم الله به عليه ... ومن ظن أنه قد ارتقى
 وسما .. كاد ظنه أن يهلكه ويودي بما قدمت يداه ..
 كان العربي المسلم ... يتقى ربه .. سيدا ومسودا ...
 غنيا وفقيرا ... حاكما ومحكوما ... قويا وضعيفا ...
 وكان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصون
 أتباعهم بتقوى الله في أول لقاء .

... فعل ذلك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وقال :
 « أما بعد ... فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ... وأن
 تشنوا عليه بما هو أهله .. وأن تخلصوا الرغبة في الرهبة
 وتجمعوا الالحاف في المسألة ، فإن الله عز وجل أثنى على
 زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات
 ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ (٣٦) .

ويذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولده بالتقوى
 في وصية له ويقول :

« أما بعد ، فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإن من
 اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل
 التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك » .

ولقى المجتمع المسلم ثواب تقواه في دنياه احقاقا. لقوله تعالى : ﴿ ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا ﴾ (٢٧) *

ووعده الله المتقين بأحسن الجزاء في الآخرة في قوله تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ (٢٨) *

مجتمع الحرية والاخاء والمساواة :

كان لعقيدة العرب الفاسدة أثرها في أخلاقهم .. وفي معاملاتهم ... فكانت غاياتهم شتى ... وأراؤهم وأفكارهم شتى ... وكانوا كآلهتهم لا يسمعون ولا يبصرون .. ولا يجتمعون على أمر ...

وناهيك ب حياة قوم يأتمرون بقدرح .. يخرجونه من وعاء بجوار الكعبة ... فان كان مكتوبا عليه « افعل » ... مضوا لما خرجوا له تجارة كانت ... أو زواجا ... أو سفرا .. وان كان مكتوبا عليه « لا تفعل » عادوا من حيث أتوا ... وان كان القدرح « غفلا » أعادوا الاستقسام مرة أخرى حتى يستأنسوا بما أمرت به الآلهة *

ويعنى هذا أن حياتهم كانت مرهونة بأوهام وأباطيل

ما أنزل الله بها من سلطان ... حتى هلت بشائر الرحمة
بمبعث رحمة الله للعالمين ... فاستقت العرب من فيض
رحمته ...

وكان أول القطر حرية أشرق فجرها في ربوع مكة
المكرمة ... فانجابت من النفوس ظلمات الشرك ... وسراب
الباطل *

وما ذلك الا لأنهم سجدوا للواحد القهار ...
ونبذوا ما دونه من أوثان وأصنام ... وعبدوا العزيز
الغفار ... ولم تعد جباههم لتسجد لجاه أو سلطان أو مال ...
وخافوا من ربهم المنتقم الجبار ... ولم تعد قوة دونه ترهب
أحدا ... ولو مزقت أجسادهم ... وأزهقت أرواحهم ... فقد
ولدتهم أمهاتهم أحرارا ... كما قال سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ..

لقد أصبح المسلمون أحرارا فيما يعتقدون ... وأحرارا
فيما يقولون ... وأحرارا فيما يفعلون ... لا يلتزمون الا بما
أمرهم به ربهم ... ولا يهتدون الا بهدى نبيهم ... فهم يرون
في البلاء رحمة من ربهم ما داموا ييغون رحمته ويخشون
عذابه ... ولا يجزعون لما يصيبهم في دنياهم من هم وحزن
وأذى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم أن الخبر
في الرضا بما ارتضاه ربهم .. وقال في حديثه الشريف :
« ما يصيب المؤمن نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن

ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها» (٢٩) .

كان الخوف فى داخلهم فحرروا نفوسهم منه . . . حتى صغرت الدنيا كلها فى أعينهم وتلك هى الحرية الحقّة . . أن تتحرر النفوس من الجاه . . . والمال . . والسلطان . . والزوجة . . والولد . . . وتكون عبدا للواحد الأحد . . .

وكان الإخاء فى الله وليد الحرية . . ذلك أن ما دعاهم من قبل الى العداوة والبغضاء . . من تفاخر وتكاثر بالمال والولد . . قد قضى وانقضى . . . وصار همهم آناء الليل وأطراف النهار هو الاقتداء بنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال فى حديثه الشريف « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » . . . من كان فى حاجة أخيه . . . كان الله فى حاجته . . . ومن فرج عن مسلم كربة . . . فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » (٣٠) .

وكانت صحبة الصديق رضى الله عنه فى هجرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الإخاء . . فقد ألقى ما كان يملكه من متاع الدنيا وراء ظهره وآثر الهجرة ابتغاء وجه ربه . وصفت أسماء رضى الله عنها هجرة أبيها الصديق وقالت : « دخل علينا جدى أبو قحافة . . . وقد ذهب بصره . . .

(٢٩) رواه البخارى ومسلم . (٣٠) متفق عليه .

فقال : والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه
قلت : كلا يا أبت . . انه قد ترك لنا خيرا كثيرا . . . فأخذت
أحجارا فوضعتها فى كوة البيت . . كان أبى يضع ماله فيها ،
ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت :
« يا أبت ضع يدك على هذا المال .
فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا كان ترك لكم هذا
فقد أحسن .

قالت أسماء رضى الله عنها :
« ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكن أردت أن أسكن
الشيخ بذلك » .

مجتمع الاخاء فى المدينة المنورة :

وانطلق الركب الطاهر الى المدينة ، وكانت أول ثمرات
رحمة الله للعالمين اخاء ، ومودة بين الأوس والخزرج ، فصاروا
بمنة الله وفضله أنصارا لله ولرسوله .

وتآخى المهاجرون والأنصار ، وتقاسموا الديار ، والأموال .
وفغر التاريخ فاه دهشة وعجبا مما يراه بعد أن ولت
العداوة والبغضاء والقتال الى غير رجعة ، وبعد أن أثر
الأنصارى أخاه على نفسه ، وقدم له ما يملكه حتى لا يشعر
بالغربة والحاجة .

فعل ذلك سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه وقال
لأخيه فى الله عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه :

« أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالى
فخذ ، وتحتى امرأتان ، فانظر أيتهما أعجب اليك حتى
أطلقها » .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : « بارك الله
فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق ، فدلوه ، فذهب وباع ،
واشترى ، وربح » .
وصورت الآيات البيّنات هذا الاخاء الانسانى أسمى تصوير
فى قوله تعالى :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هو المفلحون » (٣١) .

... وكما وأن الحرية أثمرت الاخاء فى الله ، فقد قضى
الاخاء على آفات النفس وأمراضها ... فلم تعد النفس
مستكبرة متعالية ... لأن الاخاء فى الله يعنى المساواة .
... لقد تأخت النفوس .. فصار مولى خديجة رضى
الله عنها قبل الاسلام زيد بن حارثة رضى الله عنه أخا
لصاحب رسول الله ورفيقه فى الغار أبى بكر الصديق رضى
الله عنه .

... وتآلق فجر المساواة فى سماء الانسانية يوم صار

سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي رضي الله عنهم
من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

*** وأشرقت شمسها وخليفة رسول الله صلى الله عليه

وسلم يعلن في أول خطبة له ويقول : « القوى عندكم الضعيف
عندي حتى آخذ الحق منه *** والضعيف عندكم القوى عندي
حتى آخذ الحق له » .

حقا *** لقد أبدل رحمة الله للعالمين عداوة العرب ألفة
ومحبة *** وأبدل خوفهم أمنا *** وقتالهم سلاما ** فأصبح
مجتمعا للحرية والاخاء والمساواة *** تزكى معانيها السامية
فروض الاسلام من صلاة *** وصيام *** وحج ** وزكاة .

مجتمع الحق والعدل والامن :

صار المسلمون يحققون الحق ، ويبتطلون الباطل لما بعث
الله نبي الحق الذي هداهم الى الحق ، يسبحون بحمد ربهم
ويمجدون ، ويؤمنون به وله يركعون ويسجدون .

وصاروا يقدسون الحق بعد ما أضاء سنا الحق ظلمات
نفوسهم ، وأشرقت أنواره في قلوبهم ، وهم يرتلون آيات
الله ، تهديهم الى الحق ، والى صراط مستقيم في قوله تعالى :
﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول
كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم
الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ (٣٢) .

(٣٢) الأنعام : ٧٣

ثم صارت أسنتهم تلهج بذكر الحق كما علمهم رسولهم
صلى الله عليه وسلم الذى كان يثنى على ربه بما هو أهله
ويقول :

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك
الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت رب
السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ،
ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ،
والساعة حق ، والنبىون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم
حق .

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك
أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت ،
وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ،
أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، الذى لا اله الا أنت ولا حول
ولا قوة الا بالله » (٣٣) .

وصار الحق فى المجتمع العربى بعد اسلامه دعامة من
دعائمه ، وغاية يسعى اليه .

وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم كل عضو من أعضاء
المجتمع الى ما أوجبه عليه ربه له ، والأسرته ولمجتمعه ، وبين أن
هذه التكاليف يتناولها فى الوجه الآخر حقوق .

ولقد تعرضنا للأسرة وتبين لنا حق الزوج والزوجة

(٣٣) أخرجه الجماعة .

والأولاد والخدم والموالى ، والذي بينه حديثه الشريف ، وبين فيه حقوق الرعية قبل الوالى وقال :

« كلکم راع ، وكلکم مسئول عن رعیتہ ، الامام راع ومسئول عن رعیتہ ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعیتہ ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعیتها ، وكلکم راع ومسئول عن رعیتہ » (٣٤) .

ولو تعرضنا لمسئولية الامام لاطمأنا أنها تعنى حقوق الرعية ، وتعنى قيامه على شئون هيأتهم ، وتعنى بأن الوالى — وهو المسئول عن رعیتہ — لا ينفل عن أولى الضعف والحاجة كما بين ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من ولى من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة » (٣٥) .

والوالى يرى معاش الناس ، وأحوالهم ، وحاجاتهم : وما يعافونه من هم فى المرأة التى تلازمه آثناء الليل وأطراف النهار وللرعية الحق فى الاطمئنان الى صدق وأمانة من حول الوالى من أمراء ، ووزراء ، وقواد ، والذي تعرض له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفه ، الا كانت له بطانتان : بطاقة تأمره بالمعروف وتحضه عليه . وبطاقة تأمره بالشر وتحضه عليه . والمعصوم من عصم الله » (٣٦) .

(٣٥) رواه أحمد والبخارى .

(٣٤) متفق عليه .

(٣٦) متفق عليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبين حقوق الرعية قبل واليههم لم يغفل حق الوالى حيث قال فى احدى خطبه « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بمدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين • تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٣٧) •

انه المجتمع العربى المسلم الذى أقامه نبي الرحمة على دعائم الحق ••• فكان خير مجتمع رأته الانسانية •

ولقد امثل الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الهدى النبوى وأقاموا حياتهم على الحق أفرادا وجماعات ، واستظل بهذه المظلة الواقية كل ذى حق فى الحياة انسا نا كان أو حيوانا أو طائرا يطير بجناحيه فى السماء ، واحتنوا بظلال الحق الوارفة من قيظ التعصب والبغض والكراهية التى دمرت حياتهم ومزقتهم أحزابا وشيعا •

ولعلنا لو تدبرنا الحديث الشريف الذى يحفظ للطير حقه ويأبى أن يلقوه به ونعبت ، ونجحد نعمة الله علينا وقد سخره لنا طعاما طيبا ، لعلنا أن لكل ذى كبد رطبة حق •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا يسأله الله عنها يوم

القيامة •• قيل : يا رسول الله •• وما حقها ؟ قال : حقها أن
تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها فترمى به » (٣٨) •

ان الحق يعلو ويسمو ويسع حتى الجماد الذي
لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يشكو من انسان أنكر له حقا •
فقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للطريق حقه
ان جلسنا فيه نتحدث في أمور دنيانا ، وحق الطريق أن نأمر
فيه بالمعروف ، وننهي فيه عن المنكر ، ولا نجرح مشاعر
الناس بكلمة نابية أو نظرة جارحة ، ولا نبذل نعمة الله اثما
وبغيا وعدوانا ، ونجحد آلاء الله الذي سخر لنا الأرض
نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه •

اهتدى السلف الصالح بهدى الرسول صلى الله عليه
وسلم فأعطوا الطريق حقه الذي بينه في حديثه الشريف وقال
للصحابة رضوان الله عليهم « اياكم والجلوس في الطرقات •
قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم الا المجلس
فأعطو الطريق حقه •• قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟
قال : غص البصر •• وكف الأذى •• ورد السلام ••
بالمعروف •• والنهي عن المنكر » (٣٩) •

ولقد رأى الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يحق الحق ويبطل الباطل ، ورأوه وهو يحفظ

(٣٨) رواه النسائي والحاكم • (٣٩) متفق عليه •

لصاحب البيت حقه فيمن دخل بيته ويعلم الزائر أن
يخفظ حق صاحب الدار

عن ربيع بن خراش قال : حدثنا رجل من بني عامر
استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال :
أأج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه « اخرج
الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له : قل : السلام عليكم
أأدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم أدخل ؟
فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل » (٤٠) .

ورأوه وهو يخشى أن تطالبه وصيفة بحقها ان ضربها حتى
ولو بسواك في يده

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيتي وكان بيده سواك فدعا وصيفة
له - أو لها - حتى استبان الغضب في وجهه وخرجت
أم سلمة الى الحجرات فوجدت الوصيفة وهي تلعب بهمة
فقالت : ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك ، فقالت : لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا خشية القود
لأوجعتك بهذا السواك » (٤١) .

وقد نذر المسلمون ما يملكون من نفس ومال للحق الذي
يعملون له ويتعاملون به بعد أن حدثهم رسول الله صلى الله عليه

(٤٠) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

(٤١) رواه أحمد والطبراني .

وسلم بمنزلة المقسطين عند ربهم فقال : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (٤٢) .

ثم ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه المثل فأروه يحق الحق وهو يقضى لرجل يغفل له القول ولا تزيده سفاهة الرجل الا حلما وسماحة وعدلا

..... عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم قال : أعطوه سنا مثل سنه (أى جملا مثل جملة) .. قالوا : يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه قال : أعطوه ، فان خيركم أحسنكم قضاء » (٤٣) .

ورأوه صلى الله عليه وسلم لا يحابى .. ولا يجامل المسئء لجاهه وحسبه ونسبه ومكائنه فى قومه

..... عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : من يجترئ عليه الا أسامة

(٤٢) رواه مسلم والنسائى . (٤٣) متفق عليه .

ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فكلّمه
أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ! ثم قام فاخطب
ثم قال :

« انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه ... واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ...
وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٤٤) .
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء الظالم في
حديثه الشريف وقال :

« من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له
النار ، وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وان كان شيئا يسيرا
يا رسول الله . قال : وان كان قضيبا من أراك » (٤٥) .
وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزاء الظالم
لا يقتصر على ما يلقيه من عقاب يوم لقاء ربه ، وأن الله يجازي
الظالم بظلمه في دنياه وقال :

« لا تظلموا ، فتدعوا فلا يستجاب لكم ، وتستسقوا فلا
تسقوا ، وتستنصروا فلا تنصروا » (٤٦) .

وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة المسلمين
على مقاومة الظالم ، وبين في حديثه الشريف أن مقاومة الظالم
مسئولية يقوم بها كل من رأى ظلما يقع بأخيه وقال :

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٤) متفق عليه .

(٤٦) رواه الطبراني .

« لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما ، فإن اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعوا عنه » . ولا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعوا عنه » (٤٧) .

وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه بأن لا يضيعوا مكاتبتهم السامية ، ومنزلتهم الكريمة عند ربهم ، وقد كرمهم ورفع من شأنهم ، وبأن لا يحتقروا أنفسهم خوفا من البغى والعدوان وقال :

« لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا : يا رسول الله . وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟! قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فايأى أحق أن تخشى » (٤٨) .

ذلك أن الناس قد تخشى أولى القوة ، وتشري أمنها ، فلا تنصر مظلوما حتى يكاد المستضعفون في الأرض يظنون أن شمس العدل قد غابت ، وأن الأرض ومن عليها قد دانت لفتة باغية ، لا ترعى الله لا في دينها ولا في دنياها .

لكن صوت الحق لا بد وأن يعلو على الباطل ما دام على الأرض طائفة من الأمة قائمة على الحق كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

(٤٧) واه الطبراني والبيهقي .

(٤٨) رواه ابن ماجة .

« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل بنا . فيقول : لا ، ان بعضكم لبعض أمراء ، تكرمة الله تعالى لهذه الأمة » (٤٩) .

هذه الطائفة المجاهدة لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا يخرس ألسنتهم عن الحق دينار ولا درهم ، ولا ييغون بما يقولون أو يفعلون علوا في الأرض ولا فسادا .

هؤلاء الذين زكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبر جهادهم في سبيل الله أفضل الجهاد في حديث شريف رواه أبو عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضي الله عنه قال : ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز . أي الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر » (٥٠) .

لقد آمن الاسلام العبد المسلم في نفسه ودينه وماله وعرضه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام المسلم عند ربه ومكاته ومنزلته وقال :

« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » (٥١) .
وأغلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب الشيطان حتى لا يجد سبيلا الى الفتنة وقال :

(٤٩) أخرجه أحمد ومسلم . (٥٠) رواه النسائي .

(٥١) رواه مسلم والنسائي والترمذي .

« لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح ، فانه لا يدري لعل
الشیطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » (*) .

حدود الله :

أما من تسول له نفسه الأمانة بالسوء خلاف ما دعا اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان له جزاءه . . وله عقابه
الذى يتحمل في حدود الله والتي تعاوت أمة الاسلام على
اقامتها . . . حتى لا تسود الأمة أنصار الباطل وجنود
الشیطان فيهلك الحرث والنسل وينهار صرح
القيم الاسلامية وتعود الأمة الى حياة الأنعام أو أضل
لذا . . دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اقامة
الحدود ، وضرب لنا مثلاً لأمة تقيم حدود الله ، وأخرى غافلة
وقال :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . . .
وكان الذين في أسفلها اذا استنقوا من الماء مروا على من
فوقهم . . فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقة ولم تؤذ من
فوقنا . . . فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان
أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » (٥٢) .
وبفضل الله وبرحمته أمن المجتمع وتحقق فيه قول

(٥١) رواه البخاري ومسلم .

(٥٢) رواه البخاري والترمذي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حيث يقول :
يا عدي هل أتيت الحيرة ؟ ... قال عدي : لم آتها وعلمت
مكافئها ... فقال : يوشك أن تخرج الطعينة بغير جوار حتى
تطوف بالبيت » *

ان أمة الاسلام قد نعمت بالأمن ردحا طويلا من الزمن ،
فالحق كان سبيلهم الى العدل ... والعدل كان من ثماره
الأمن ... هذا الأمن الذي قال عنه الامام أحمد بن حنبل
في مسنده : من أراد أن يعرف غاية الأمن والسكينة عليه أن يعرف
حكم اللقطة في الاسلام ... فانه يدعها مكانها حتى يرجع
اليها صاحبها أو يلتقطها فيعرفها سنة ثم تعد دينا في ذمته ...
أما في الحرمين فهو يعرفها أبدا (٥٣) *

مجتمع العلم والتعلم :

وأصبح المجتمع العربي بعد اسلامه مجتمعا للعلم والتعلم
في شئون الدين والدنيا ، ونالوا بعد اسلامهم حظهم من العلم ، ثم
صاروا يلقنونه للأمم التي كانت لا تعلم شيئا لأمن أمور دينها
ولا من أمور دنياها *

وكان من فضل الله على العرب ، وعلى الأمة الاسلامية
وسيطل هذا الفضل فورا يشرق في عقول وقلوب المؤمنين بالله
ربا ، وبرحمة الله للعالمين نبيا ورسولا ، وبالقرآن هاديا ومبشرا
ونذيرا - كان من فضل الله أن آيات القرآن الكريم نزلت تحت

(٥٣) مسند الامام أحمد .

قول :

وعلمت

حتى

زمن ،

ثمارة

حبيل

ن يعرف

يرجع

... نه

والتعلم

لم ، ثم

ر دينها

سلامية

ن بالله

مبشرا

تحت

أتباعه على القراءة في أول آية لأول سورة نزلت في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٥٤) •

ولقد اهتمت أمة العرب بعد اسلامهم بهدى الكتاب الكريم ، وسنة الرسول الرؤوف الرحيم ، فقرأت ، وتعلمت ، وعلمت من حولها من الأمم •

ولأن القراءة نبع رقائق تستقى العقول منه ، فتشرب بالعلوم والمعارف ، ولأن القراءة مورد عذب ترده النفوس الضالة فتتهدي ، والقلوب المضطربة فتطمئن ، والأرواح الشاردة فتألف وتأنف • لذلك رفرت راية العرب لما اهتموا بكتاب ربهم فقرأوا وتعلموا •

وكان أول كتاب قرأته العرب — بعد اسلامهم — هو كتاب القدرة ، والرحمة ، والल्प ، والابداع • ورأت — وهى تقرأ هذا الكتاب الثرى بمعانى الايمان — رأت العرب ربها فى نفسها بعد أن تدبرت ، وتأملت ، وفكرت ، كيف خلقها على غير مثال سبق ، ثم جعل منها زوجها ليسكن اليها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء •

قرأت العرب — بعد اسلامهم — كتاب القدرة

(٥٤) العلق : ١ - ٥

والإبداع ، فاهتدت بفضل ربها الى عظمتيه ،
وقدركته ، فأمنت به خالقها وبارئها ، ومصورا ،
وآمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم داعيها الى الله وسراجا
منيرا ، وبالكتاب الذى أنزله معه مبشرا ونذيرا .
حقا انه كتاب أزلى أبدي ، يعلن فى كل آونة وحين قدرة
الله وإبداعه ، وحكمته ، ولطفه بخلقه .

انه كتاب القدرة يتلو على الدهر منذ الأبد حتى الأزل :
ان الله هو الخالق البارئ المصور ، وأنه الواحد الأحد
الفرد الصمد .

وساعتها سجدت القلوب تناجي ربها الذى خلقها من
العدم ، وتتلو آياته التى تقرر عظمته وإبداعه فى قوله تعالى :
﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ﴾ ثم جعلناه
نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا العلقه
مضغه ، فخلقنا المضغه عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه
خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ (٥٥) .

وقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التفقه فى
شئون الدين ، وأوصى أبا ذر الغفارى رضى الله عنه الى
تحصيل العلم ، وقال :

« يا أبا ذر ، لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك
من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتتعلم بابا من العلم
عمل به أو لم يعمل به ، خير لك من أن تصلى ألف ركعة » (٥٦) .

وامتثل الصحابة رضوان الله عليهم لوصاياه صلى الله عليه وسلم ، فنفرت تنفقه في شئون دينها ، وتنهل من مناهل العلم أينما كان ، فاذا بهم يقطعون الوديان ، ويجتازون الصحراء ليتشتوا من حديث شريف سمعوه •

فعل ذلك أبو أيوب الأنصاري الذي قصد مصر راكباً دابته ليتثبت من حديث شريف سمعه •

وفي مصر توجه الى دار عقبة رضى الله عنه بالفسطاط حتى اذا تحقق من الحديث الشريف عاد من حيث أتى الى المدينة المنورة •

ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم وهم ينهلون من مناهل العلم ، ويردون نبعه الرقراق ، ويتحملون في ذلك المشقة ، انما كانوا يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله ، وطمعا في جناته التي وعدهم بها ربهم ، وبشرهم بها نبيهم صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف وقال :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » (٥٧) •

وازداد اقبالهم على العلم لما تنزلت الرحمات على العالم في دنياه وأخراه ، ولما اطمأنت قلوبهم الى الهدى النبوى يزف اليهم ثواب الله الذى لا ينقطع عن العالم الذى ترك في الناس علما نافعا ، فينهل من موزده المقبلون على ربهم ، ويحدثهم بأن فضل الله يتنزل عليه وهو بجوار ربه •

(٥٧) رواه مسلم وأبو داود وغيره •

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وبشر به الصحابة
رضوان الله عليهم وقال :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ... صدقة
جارية ... أو علم ينتفع به ... أو ولد صالح يدعو له » (٥٨) .
وقد يظن بعض الناس أن العلم الذى دعا اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقتصر على العلم بشئون الدين ...
لكن هدى النبى صلى الله عليه وسلم ووصاياه للصحابة
رضوان الله عليهم ، وللمسلمين ، تبين أن المقصود هو مطلق العلم .
فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت
رضى الله عنه الى تعلم السريانية وقال :

« انى اكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا
فتعلم السريانية » ... قال زيد رضى الله عنه :
« فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » (٥٩) .

وحسبنا أن آيات الله الكريمة بينت لنا أن العلم بشئون
ديننا لا يقف حائلا عن العلم بشئون دنيانا ...
ولا أدل على ذلك من أن يوسف عليه السلام ، وقد بعثه
الله نبيا ، يدعو أتباعه الى عبادة ربه كان على علم بشئون
المال حتى جعله العزيز ملك مصر أمينا على خزائنه ...
قال تعالى : ﴿ ... وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسى
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على

(٥٨) أخرجه أحمد ومسلم والثلاثة .

(٥٩) رواه البخارى بالفاظ أخرى .

خزائن الأرض انى حفيظ عليهم . وكذلك مكننا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴿٦٠﴾ .

كما بينت آيات الله منافع الحديد في قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز ﴾ (٦١) .
ولو أننا ندبرنا أمر الحضارة الغربية بمنشآتها ، ومصانعها ، وطائراتها ، وأقمارها الصناعية ، وسفن الفضاء ، وأسلحتها التي سيطرت بها على شعوب دونها علما لرأينا أن هذا الصرح الشاهق قام على عناصر منها الحديد الذي أشارت آيات الكريم الى استخداماته في قوله تعالى :

﴿ قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، ءأتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال ءأتوني أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ (٦٢) .

وامتثل المسلمون لاشارات القرآن الكريم :
واهتدوا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم . . . فدرسوا . . .

(٦١) الحديد : ٢٥

(٦٠) يوسف : ٥٤ - ٥٦

(٦٢) الكهف : ٩٤ - ٩٧

وتعلموا .. وعلموا ... وكان من علمائهم فى الطب والفلك
والرياضيات والكيمياء والطبيعة من شاد بذكرهم وباسهامهم
السلمى المنصفون من علماء الغرب *

يقول المستشرق جورج سارطون :

« لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم
العربى ... ولقد أوردت كلمة « معجزة » لترمز الى ما بلغ اليه
المسلمون والعرب من الثقافة والعلم مما يخرج تقريبا عن
نطاق التصديق » *

وحقا ما قاله المستشرق جورج سارطون .. فقد أورثوا
الغرب علوما أقاموا بها حضارتهم ... ولولا علماء المسلمين ما قامت
هذه الحضارة ، فقد ظلت جامعة مونبليه تستشهد بأراء
ابن سينا الى أواخر القرن الماضى *

كما وأن أبا بكر الرازى يمد أول واضع لعلم الطب
التجريبى ، وكان يجرى تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير
الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته عليها *

كما وأنه يعتبر أول من وضع طريقة العلاج بالمشاهدة *

وهو أول من عرف الحصبة والجدرى ، وأول من فكر فى
العلاج النفسى ...

واعترف الغرب باسهامه العلمى ، وخصصت له جامعة
« بريستون » الأمريكية أكبر جناح فى أجمل بناء لعرض مآثر
الطبيب المسلم أبى بكر الرازى ..

كما وأن المسلمين هم أول واضعى علم الطبيعة بعد أن عرفوا كثيرا من النباتات الطبية...»

ويعد أبو القاسم - طبيب القصر الملكى فى قرطبة - من الأطباء النابغين ، وقد ألف كتباً فى الجراحة والتوليد .

وتولى المسلمون حماية التراث الحضارى للأمم السابقة ، ونقلوا للغرب فلسفات اليونان ، ودراساتهم ، وأبحاثهم ، وأسهمهم الحضارى . ولولا المسلمون لما عرفت أوروبا المعاصرة شيئاً عن تراث اليونان والفرس والرومان ، ولما قامت حضارتها التى كان للمسلمين دور كبير فى قيامها كما يقر بذلك جوستاف لوبون ويقول :

« ان القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ، وان العرب هم الذين مدينوا أوروبا ، ولا تزال عناصر مدنية العرب ، وهى الدين ، واللسان ، والفنون حية ، فالعرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر ، مع استقامة الدين » .

ولعلنا لا نحتاج الى دليل على أن الحضارة الاسلامية التى قامت عليها وعلى ما نقلتها حضارة الغرب المعاصرة لم تكن لتزدهر لولا مبادئ الاسلام السامية ، وتكريمه للعلم والعلماء .

كما وأن الاسلام وهو دين الله الذى فطر الناس عليه راعى فى اسهامه الحضارى الجانب المادى والجانب الروحى ، فقامت الحضارة الاسلامية انسانية فى غايتها ، مثالية فى

أخلاقها ومعاملاتها ، واضحة نصب عينيها سعادة الانسان
روحا ، ونفسا ، وجسما ، محققة له آماله دنيا وأخرى •
وقد شهد بهذا كثير من علماء الغرب منهم المستشرق
فوريسون الذى قال :

« ان الحق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر
من معتقد ودين ، وهو نظام اجتماعى تام الجهاز ، وحضارة
كاملة النسيج ، لها فلسفتها ، وتهذيبها ، وفنونها » •
ولم يكن لهذا النظام الاجتماعى والحضارة الكاملة النسيج
للتحقق الا برحمة من الله وفضل •••
ولم يكن لهذا الشتات من القلوب أن تأتلف الا بهدى
من نبى الرحمة الذى ظل يقوم المعوج ويهدى الضال حتى
آخر لحظة من لحظات حياته •••

ولا أدل على هذه المنة الربانية من خروجه الى الأنصار
لما سمع بخشيتهم من موته فى مرضه الذى لحق فيه
بالرقيق الأعلى •

••• لقد خرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على بن
أبى طالب والفضل والعباس أمامه يخط برجليه ، وهو معصوب
الرأس وجلس أسفل مرقاة فى المنبر ، فثار الناس اليه ، فحمد الله
وأثنى عليه وقال :

« أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم •••
هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ••• ألا وانى

لاحق بربي ، فأوصيكم بالمهاجرين خيرا ... وأوصى المهاجرين فيما بينهم بخير » •

... ومضى نبي الرحمة وهو يعاني من مرضه يوصي المهاجرين بالأنصار ويقول : « وأوصيكم بالأنصار خيرا .. فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم » ..
... وظل يعدد مآثرهم ويقول : « ألم يشاطروكم في الشار ألم يوسعوا عليكم في الديار ... ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة » •

وأوصى المسلمين وصية ان اقتدوا بها سعدوا في دنياهم ونعموا بما يجريه ربهم من خير على أيدي أئمتهم وقال :
« يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم ، فاذا بر الناس برتهم أئمتهم ... واذا فجر الناس عنتي أئمتهم » •

رحمة الله للعالمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين انفسهم وجنهم .. زرعهم وضرعهم ... دوابهم وهوامهم وطيرهم •

ولقد تناولنا رحمته صلى الله عليه وسلم بالانسان ... ورأينا كيف تجلت هذه الرحمة لما دعا الناس أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها الى خير دين ، ولهم يفرق في دعوته بين جنس وجنس .. ولون ولون •
وأرسل رسله الى مشارق الجزيرة العربية ومغاربها

يدعون الناس الى عبادة الله الواحد القهار ***
ودعا الأكاسرة والقيصرة ، ودعا المستضعفين فى الأرض ،
والأمراء والملوك ، ودعا العرب والعجم .*

أرسل صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الى قيصر
ملك الروم ، وأرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك
الحبشة ، وأرسل حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس ملك
الاسكندرية ، وأرسل عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعياد
ملكى عمان ، وأرسل سليط بن عمر الى ثمامة وهوذة ملكى
اليمامة ، وأرسل العلاء بن الحضرمي الى ملك البحرين ،
وأرسل شجاع بن وهب الى ملك تخوم الشام ، وأرسل
أبى أمية المخزومي الى ملك اليمن .*

لقد تغمدت رحمته التى بعثه الله بها الناس عامة ، فحذرهم
من العذاب ان أشركوا بربهم وخالفوه فيما أمرهم به ، وصور
لهم نار جهنم وكأن شهيقها وزفيرها يطن فى آذانهم وقال :
« نأركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله *** قال : فانها
فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » (٦٣) .

وبين للناس طعامها وشرابها حتى يتقوها بصالح العمل
وقال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت
على أهل الدنيا ، فكيف بمن يكون طعامه » (٦٤) .*

(٦٣) أخرجه مالك والشيخان والترمذى .
(٦٤) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى .

وحتى لا تأتي الناس الساعة بغتة وهم في لهوهم وغيهم
وضلالهم ، وحتى لا يندموا على ما فاتهم يوم لا ينفع الندم ،
حدثهم بأماراتها حتى يكونوا على بينة منها وقال :
« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة
كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، واليوم
كالساعة ، والساعة كالضربة من النار » (٦٥) .

وكانت عيناه تذرفان رحمة بأتباعه ، اذا تليت آية تبين
شهادته لأن الشاهد لا يخفى النقائص ، وما ذلك الا رحمة
بأمته من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

... عن أبي مسعود رضى الله عنه قال ... قال لى النبی
صلی الله علیه وسلم : « اقرأ على القرآن » ... فقلت : يا رسول
الله ... اقرأ عليك ... وعليك أنزل ؟! قال : « انی أحب أن
أسمعه من غیری » ... فقرأت علیه سورة النساء ، حتى جئت
الى هذه الآية : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا » . فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان (٦٦) ...
وكان من رحمته بالناس أن وصف لهم الجنة وقصورها ...

وحورها ... وأنهارها حتى يعمل لها العاملون ... وحتى
يقوموا الليل .. ويصوموا النهار ... ويبدلوا جهدهم
لينة وزوا بها .. وينعموا بشمارها ... وظلالها .. وولدائها .
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول
الله ... الجنة : ما بناؤها ؟ قال : لبنة من فضة ، ولبنة من

(٦٥) أخرجه أحمد ولترمذی . (٦٦) متفق عليه .

ذهب ، ملاطها المسك الأذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ،
وترابها الزعفران • من يدخلها ينعم ولا يبئس ، ويخلد
ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم • • • الحديث (٦٧) •
ثم بين لهم أن الايمان بالله والعمل الصالح يعنى السيادة
فى الأرض ، والأمن فى النفس والمال والدين • • •
وأوصاهم بالالتزام بما أمرهم به ربهم ليتحقق فيهم وعده
الذى وعدهم به فى قوله تعالى :

• وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى
لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم
الفاسقون • (٦٨) •

ثم كان من رحمته التى تغشت أمته منذ بعثه حتى قيام
الساعة أن بين لهم مكائنتهم ومنزلتهم عند عدوهم ان جاهدوا
لأعلاء كلمة الله ، ونصر دينه ، وهوان أمرهم ان ركنوا الى
الحياة الدنيا وآثروها على الآخرة وهان عليهم دينهم •
وبين كل آوثة وحين ترى أمة الاسلام حديثه ماثلا
أمامهم ان أغمضوا أعينهم ولو للحظات عن الجهاد ، ورأوا الذلة
والهوان ينزل عليهم تصديقا لما حدثهم به وقال :
« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة

(٦٧) أخرجه أحمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى .

(٦٨) النور : ٥٥

الى قصعتها • قالوا : أو من قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا • •
والذى نفسى بيده افكم يومئذ لكثير ولكنكم كفاء السيل ،
ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليجعلن في قلوبكم
الوهن • قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا
وكراهة الموت » (٦٩) •

رحمة الله للعالمين والشفاعة :

ووسعت رحمته صلى الله عليه وسلم المذنبين من أتباعه ،
وادخر دعوته شفاعة لأمته يوم الفزع الأكبر الذى وصف
هوله رب العزة والجلال فى كتابه الكريم •
قال تعالى : ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴾ (٧٠) •

فى هذا اليوم العصيب يشفع نبي الرحمة لأمته ، كما حدثنا
بذلك وقال : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي
دعوته ، وانى أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى
نافلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله
شيئا » (٧١) •

رحمة الله للعالمين والجن :

ولقد نالت الجن حظا من رحمته لما استمعوا اليه صلى
الله عليه وسلم يتلو آيات ربه ، وذهبوا الى قومهم يدعونهم الى
كتاب ربهم وهدى نبيهم ، فأمن به من آمن ، وكفر من كفر •

(٧٠) الحج : ٢

(٦٩) أخرجه أبو داود •

(٧١) أخرجه الشيخان •

قال تعالى : ﴿ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين • قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾ (٧٢) .

رحمة الله للعالمين وعالم الحيوان :

ولم يكن الحيوان بأقل حظا فى رحمته من الانس والجن ، فقد رحم الحيوان وأوصى بالرفق به فى الحضر والسفر وقال : « اذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الابل حظها من الأرض ، واذا سافرتم فى الجذب ، فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها ، واذا عرستم (٧٣) فاجتنبوا الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل » (٧٤) •

ولعلنا لو تدبرنا أمر الجمل الذى شكى صاحبه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمنا مدى رحمته التى أنعم الله بها على العالمين ، فنال كل من فى الوجود حظه منها حتى ولو كان حيوانا لا يعقل ، ولا ينطق ، الا أنه بدافع غريزته التى يعرف بها الماء والطعام فيشرب ويأكل : أحسن بهذه الرحمة •

عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : أردفنى رسول

(٧٣) نزلتم بالليل •

(٧٢) الاحقاف : ٢٩ - ٣٢

(٧٤) رواد مسلم •

الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأسر الى حديثا لا أحدث به
أحدا من الناس ، وكان أحب ما استتريه النبي صلى الله عليه
وسلم لحاجته هدفا (٧٥) أو حايش (٧٦) نخل فدخل حائطا من
الأنصار ، فاذا فيه جبل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
حن وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح
ذفرية (٧٧) فسكت ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا
الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لى يا رسول الله • فقال :
أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك اياها فانه شكا الى
أنك تجيعه وتدئبه » (٧٨) •

وكانت العرب تقطع أسنة الابل وهى حية ، وكانت تعدها
أحسن طعامها ، فنهاهم عنها وقال فى حديثه الشريف :
« ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة » (٧٩) •
ومن رحمته وصاياہ لأصحابه رضوان الله عليهم بأن
يعسنوا الذبحة ، ويحدوا الشفرة دون أن تراها البهيمة •
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أضجع شاة ،
وهو يحد شفرته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتريد
أن تميتها موتتين • هلا أحدثت شفرتك قبل أن تضجعها » (٨٠) •
وكما نرى اليوم « مصارعة الثيران » رياضة محببة

(٧٥) بناء مرتفع •

(٧٦) النخيل المجتمعة المتقاربة •

(٧٧) العظم الذى خلف الأذن •

(٧٨) ترهقه • رواه أحمد وأبو داود •

(٨٠) رواه الطبرانى والحاكم •

لنفوس أقمرت من الرحمة ، وقلوب أجذبت من الرفق ، فهللت ،
وصفقت لمصارع يردى حيوانا أمام أعينهم قتيلا • ورأت بعين
القسوة دماء تنزف في ميدان المصارعة نصرا مبينا •

كذلك كانت العرب قبل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم
تفعل بالحيوان والطير حتى نهاها عن هذه القسوة التي دلت على
قلوب سكنها الشيطان لما غفلت عن ذكر الرحمن
لقد نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه العادة
كما حدثنا ابن عباس رضى الله عنه وقال :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التهريش بين
البهائم » (٨١) •

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القسوة في
معاملة الحيوان ، وإهماله شأنه في طعامه وشرابه ، يورد
صاحبه موارد الهلاك ، وقال :

« عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها
النار ، لا هي أطعمتها وسقيتها اذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من
خشاش الأرض » (٨٢) •

كما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العبد
المسلم ان أحسن لحيوان فأطعمه أو سقاه أنعم الله عليه
برضاه يوم يلقاه ••• وقال :

« بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب

(٨١) رواه أبو داود والترمذى .

(٨٢) متفق عليه .

منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث يأكل الشرى من العطش ...
فقال :

« لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملاً خفه ثم أمسكه
بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له .. قالوا : يا رسول
الله .. وان لنا فى البهائم أجرا ؟ .. فقال : فى كل ذات كبد
رطبة أجر » (٨٣) .

وقد كان للطير حظ من رحمته صلى الله عليه وسلم ، لذا
أوصى الصحابة رضوان الله عليهم بالرفق ... وأبى على
العبد المسلم أن يعذب بالطير حتى يهلكه وقال : « من قتل
عصفورا عبثاً عجز الى الله يوم القيامة يقول : يا رب ان فلانا
قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعة » (٨٤) .

وقد اتبع الصحابة رضوان الله عليهم سنته واهتدت
بهديه ، وابتعدت عن العذب بالطير ، وكأنت تنهى صغارها عن العذب
بالطير كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما عندما مر بفتيان من
قريش وقد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير
كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر :
من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً (٨٥) .
ولعل ما يجسم رحمته أمامنا حتى نكاد نلمسها بأيدينا هو

(٨٣) أخرجه البخارى .

(٨٤) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٨٥) متفق عليه .

ما حدثنا به ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا
حمرة^(٨٦) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة ،
فجعلت تعرش^(٨٧) فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من
فجع هذه بولديها ؟! ردوا ولديها اليها » .

ورأى قرية نسل حرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا :
نحن . قال : لا يحرق بالنار الا رب النار »^(٨٨) .

حقا يا رسول الله « لا يحرق بالنار الا رب النار » وما كان
للسحابة رضوان الله عليهم الا أن يهيموا في أنوار رحمتك
فيرحموا كما هديتهم كل ذى كبد رطبة .

وصدق الله الرحمن الرحيم الذى قال في كتابه الكريم
« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

لقد رحمت يا نبى الرحمة الكون كله انسه وحنه ، زرعه
وضرعه وطيره .

ورحمت برحمة من الله من صاحبك ومن عاداك ، ومن
اتبك واهتدى بهدائك .

وكما رحمت يا رسول الله من اقتدى بقدموتك ، واستن
بستك في دنياك ، ادخرت لهم الشفاعة يوم يلقونك في
أخراك . . فأنت يا رسول الله في ظهر الغيب رحمة وفي الدنيا
رحمة وفي الآخرة رحمة .

(٨٧) كأنها تبني عشا .

(٨٦) طائر أحمر اللون .

(٨٨) رواه أبو داود .



7

8

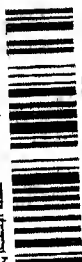
9

الطبعة الأولى ١٩٩٠ م — ١٤١٠ هـ

٢٠٠ الشف

63

Bibliotheca Alexandrina



0289666